جمال جماخاريا، ليا أخالادزه

أبخازيا، جورجيا:
التأريخ والسياسة والثقافة

جمال جماخاريا، ليا أخالادزه

أبـــخـــازيـــا، جـــورجـــيـــا:
التـــأريـــخ والســـياســـة والثـــقافـــة

تبيليسى ٢٠١٧

النص العربي تحت تحرير أ.د. نينو إيجيبادزه
الأعمال التقنية – حواء جورجينيشفيلي

يقصد الكتاب قراء في العالم العربي والذى ترتبط جورجيا به بالجذور التأريخية العميقة. يتضح في الكتاب التأريخ العرقي السياسي لإحدى المناطق الجورجية والتي لا تنفصل - أبخازيا - من أقدم الأزمنة وحتى أيامنا، ويتناول الكتاب موضوع الآثار الثقافية الجورجية الواقعة هناك والتى ترجع إلى أوائل القرون الوسطى. يؤكد الكتاب مرة أخرى الواقع المعترف به أن مساحة أبخازيا الحالية مثـّلت منذ أعرق الأزمنة أراضي جورجية بوجهة النظر العرقية والسياسية والثقافية، كما بقيت جزءا لجورجيا فى عصر ما يتلو القرون السادسة عشر-السابعة عشر حينما استوطنت مساحة أبخازيا شعب شمال القوقاس المسمّون كـ *أبسوا* أو *أباز*. وكوّن الجورجيون أغلبية سكان أبخازيا حتى انهيار الاتحاد السوفياتى فى أواخر القرن العشرين. يحكى مؤلفا الكتاب للقراء عن الحرب المختلطة أنشبتها روسيا ضد جورجيا فى السنتين ١٩٩٢-١٩٩٣ وعن العدوان الصارح فى أغسطس ٢٠٠٨. يتضح من الكتاب أن تبعَ هذه الحروب تم احتلال أراضى أبخازيا من قبل روسيا كما تمت فى تلك الأراضى التصفية العرقية والإبادة الجماعية للسكان الجورجيين بأقسى طرق يمكن. تشد الاهتمام ضرورة تسوية هذا الصراع الاصطناعى بسبل سلمية ويكون ذلك بالتدخل النشيط من قبل المنظمات الدولية.

دار النشر «سآري» – ليفان تيتميريا

الـفـهـرس

المقدمة (أبولون سيلاغادزه) ٨

١. أبخازيا، جورجيا: مواضيع التأريخ والثقافة (جمال جماخاريا) ٣١
١.١. أبخازيا التأريخية والأبخاز التأريخيون ٢٣
١.٢. أبخازيا والأبخاز فى العصر الجديد ٣٣
١.٣. أبخازيا – الوحدة الذاتية الحكم التابعة لجمهورية جورجيا الدمقراطية ٤٣
١.٤. ضم جورجيا من قبل روسيا البولشيفية وأبخازيا السوفياتية ٥٣
١.٥. استعادة اسقلال جورجيا الوطنية ومحاولات موسكو في لعب «البطاقات الأبخايزية» ٦٣
١.٦.إجراءات موسكو الجزائية ضد جمهزرية جورجيا المستقلة والحرب في أبخازيا ٨٥
١.٧. تدابير موسكو العقابية ضد جورجيا المستقلة والحرب فى أبخازيا ٧٣

٢. آثار ثقافة جورجيا المادية – أبخازيا. اللمحة الموجزة (ليا أخالادزه) ٨٣

٣. الملحق. الخرائط التأريخية (جمال جماخاريا) ٩٣

المراجع ٠٤

المقدمة

نشرت إصدارات هذا الكتاب الألماني والإسباني والتشيكي والتركي في السنوات ٢٠١٤ – ٢٠١٦. يقصد هذا العمل حاليا قراء أحد أهم مناطق العالم – الوطن العربي.

يختص الكتاب بواقع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين ويتميز بشدة القساوة وعدم العدالة الأمر الذى جعله فريدا من نوعه وحصل فى إحدى مناطق جورجيا التأريخية أبخازيا.[١] نُـفي حينذاك عن الأراضي الجورجية تحت إرغام السلاح الروسي مايقرب من ٣٨٠ ألف قاطن أغلبيتهم الجورجيون وبقيت الأراضي لما يقرب من ٩٠ ألف أبخازي (أفسوا/أبسوا) وترك جزؤهم هذه الأراضي أيضا. تمت تصفية الجورجيين العرقية الدموية. ولاحقا بعد الحرب ضد الجورجيين فى العام ٢٠٠٨ أعلنوا في الأراضي الخالية عن الجورجيين المصفية بهذه الطريقة ودون استفهام أرائى القاطنين الأصليين، الاستقلال لأبسوا.

نشر هذا الكتاب - كما سبق الذكر - بعدة لغات فنال إقبال القراء الكبير. نآمل أن القارئ العربي يقبله بنفس الاهتمام.

إن للعلاقات العربية الجورجية جذور عميقة. ظهر العرب فى القوقاس الجنوبي وبالتحديد في جورجيا فى نفس العصر كأنهم ظهروا مثلا فى مصر، عندما منح فى العام ٦٤٥ الميلادي القائد العربي حبيب ابن مسلمة لسكان جورجيا الشرقية شهادة الأمن.

ترك العرب فى تاريخ الثقافة الجورجية أثرهم المعين (راجع عن ذلك:

---

١ يعنى الكلمة «الأبخازى» فى أعمال العلماء بما في ذلك المؤرخون العرب – جورجيا وبالتحديد قاطن جورجيا الغربية. فى الحقيقة لا يختص هذا المصطلح بمن يدعون حاليا كـ الأبخاز ومن يسمي أنفسهم بـ أبسوا.

Apollon Silagadze, Nani Gelovani, Nino Ejibadze. On the Arabic Muslim Trace in the History of Georgian Culture, materials of international conference of Arts and Sciences, Florence, Italy, 2012, 77-81).

إن اللغة الجورجية استعارت من العربية جذور الكلمات ما يكفي ويكثر عددها إذا أخذنا بالاعتبار مشتقاتها. هنالك أيضا عديد من نقوش على الحجر باللغة العربية في جورجيا. وجدير بالذكر الوقائع الجورجية التأريخية العربية اللغة مثل العملات سكها الملوك الجورجيون عليها مكتوبات عربية .

معروفة تأريخيا العلاقات الثنائية لملك جورجيا جورجي الأول والسلطان المصري الحاكم بأمر الله: تمت بينهما فى القرن الحادي عشر المعاهدة العسكرية ضد القيصر البيزنطي باسيل الثاني. لاحقا عاون السلاطنة المصريون الجورجيين عدة مرات ضد ممثلي الكنائس المسيحية الأخرى والذين لم يعجبهم أن للجورجيين إشراف على مفتاح ضريح المسيح فى الأرض المقدسة وعلى جبل جمجمة.

حفظت كل هذه المعلومات بالإضافة إلى المعلومات الأخرى فى أعمال المؤرخين والجغرافيين العرب مثل الطبري والبلاذري والمسعودي وابن حوقل والمؤلفين للعصور اللاحقة (القرنين الحادي عشر-الرابع عشر) مثل يحي الأنطاكي، والفريق، واليقوت، وزكريا القزويني، والقلقشندي، والمقريزى وغيرهم.

إن المؤلفين العرب خصصن بالاهتمام طبيعة الجورجيين المسامحة ومثل ذلك ملاحظة الفريق (القرن الثاني عشر) أن عام ١١٢١ الميلادي ملك الجورجيين داوود الرابع فتح عاصمة جورجيا تبيليسى مسترجعا إياها فجعل للمسلمين ظروفا خاصة: «اشترط ألا يكون فى الجانب الذى يكون فيه المسلمون خنزير ولا يذبح بينهم وضرب لهم الدرهم وعلى وجهه اسم الخليفة وسلطان

وأقر لهم فى الآذان والصلوة ظاهرا وشرط لهم أن يدعى يوم الجمعة على المنبر للخليفة والسلطان ولا يدعى لهم على المنبر فشرط أنه يكون خدمة الكرجى فى السنة خمسة دنانير (أى ضريبة خمسة دنانير) وخدمة اليهودى أربعة دنانير وخدمة المسلم ثلاثة دنانير. وأحسن إلى المسلمين غاية الإحسان ولأهل الدين والعلم والصوفية من الحرمة والكرامة ما ليست لهم بين المسلمين.»

وحاليا على الخلفية عندما يكون عشرين بالمائة من الأراضي الجورجية محتلة، منحت جورجيا مأوى لما يقرب من ٥٠٠٠ لاجئ عربي.

يرتبط أحد صفحات العلاقات الجورجية العربية الممتعة بالمماليك ومن أثروا تأثيرا عميقا في تأريخ مصر والعراق وخاصة فى القرون السادس عشر-الثامن عشر، ونال العديد من هؤلاء المماليك منصب الحاكم. مثلا ساد مصر المماليك الجورجيون كابراهيم كتخودا القازدغلي (١٧٤٩-١٧٥٤)، على بك الكبير (١٧٦٨- ١٧٧٢)، واسماعيل بك الكبير (١٧٧٧-٧٨ و١٧٨٦-٩١)، ومراد بك وابراهيم بك (حكما مصر باشتراك فيما بين ١٧٧٥-٩٨). ويذكر تأريخ مصر اسم الملكة الجورجية نفيسة. وحفظت أيضا أسماء المماليك الجورجيين الأصل من حكموا العراق مثل حسن باشا (١٧٠٤-١٧٢٣)، وأحمد باشا (١٧٢٣- ١٧٤٧)، وسليمان أبو ليل (١٧٤٩-١٧٦٢)، وعمر باشا (١٧٦٢- ١٧٧٦)، وسليمان بيويوك (١٧٨٠-١٨٠٢)، وعلي باشا (١٨٠٢-١٨٠٧)، وسيد باشا (١٨١٣-١٨١٦)، وداود باشا (١٨١٦-١٨٣١).

وجدير بالملاحظة أن المجتمع الجورجي أظهر ويظهر اهتماما كبيرا تجاه الحضارة العربية. تتطور الدراسات العربية فى جورجيا فى عدة مراكز علمية يرأسها جامعة تبيليسى الحكومية. يكفي لتثبيت

خصوبة عمل الخبراء الجورجيين ذكر ترجماتهم من الأدب العربي فترجمت القرآن الكريم والمعلقات وكليلة ودمنة والف ليلة وليلة الخ ترجمت أيضا من الأعمال الأدبية المعاصرة (مثل خمس روايات لنجيب محفوظ وعديد من قصصه).

إذا رجعنا إلى مدار بحث هذا الكتاب، فيمكننا القول أن تراديجية أبخازيا لا مثيل لها بحيث حجم قسوتها بعد الحرب العالمية الثانية فى القارة الأروبية. ولا تزال هذه التراديجية تستمر بأشكل مختلفة يستعمل خلالها السلاح المعروف وهو تزوير التأريخ والأحداث المعاصرة. مثل لذلك:

يدّعي المزورون أن الأبخاز (أفسوا) هم مسلمون في الحقيقة أن الأغلبية الكبرى لهم يعتبر أنفسهم مسيحيين الارثوذوكسيين. أما الحقيقة فإنها على السطحية وفي سهولة النيل. فى أرض جورجيا التأريخية والتى لا تنفصل والتي تدعى بأبخازيا، لا يوجد حتى ولو أثر واحد لثقافة مادية عليه مكتوب باللغة الأبخازية (الأفسواوية) أكانت حجرا أم قلعة أم جسرا أم كنيسة. إن الثقافة من إحدى علامات السيادة. حفظت حتى أيامنا الثقافة الجورجية الممثلة بشتى أنواعها: فتوجد النظام الكتابي الجورجي بثلاثة أشكالها، وتوجد الآثار المنقوشة والمعمارية والأيقونية، وحفظت الثقافة الجورجية عبر علوم اللاهوت والفلسفة، وعبر الأدب الأصلي والمترجم، وعبر التدوينات التأريخية وعبر الفنون الشعبية مثل الرقص والموسيقى والحلة والمطبخ... إنما أمة ذات السيادة فقط تنتج كهذا الإنتاج وتنتجها في أرضها الخاصة، إن هذه الأراضي مضمار ممارسة إبداعها وتحد هذه الأراضي آثار الثقافة المادية بدقة: المكتوبات أكانت على حجر أم البنايات والتدوينات الرسمية أو الوثاق الأخرى واردة في جورجيا فقط باللغة الجورجية طبعا إضافة إلى لغات الشعوب من مارسوا مع الجورجيين العلاقات التأريخية مثل العرب. لا وجود لآثار ذات لغات أخرى في جورجيا

ولا في تلك منطقة جورجيا التي تدعي باللغة الجورجية أبخازيتى – أي أرض الأبخاز. أمة أصلية وحيدة فى أراضي جورجيا هم الجورجيون وهم من بنوا الدولة والثقافة فيها. ولم يكن لأمة أخرى من كانت أن تطور هنا دولتها وليس ذلك فحسب، بل وأكثر. نفس أفسوا- الأبخاز مثلا كوّن لهم آخرون طوال قرن كامل كتابة لهم فكانت المحاولة الأولى فى العام ١٨٦٢ عندما جعلوا كتابة لهم على الأساس الأبجدية الروسية، ثم في الأعوام ١٩٢٨-٣٨ وكانت كتابتهم على الأساس اللاتينية، ثم في السنوات ١٩٣٨-٥٤ مورست الكتابة المعتمدة على الأبجدية الجورجية وأخيرا منذ العام ١٩٥٤ رجعت الكتابة تستند الحروف الروسية. عليّ أن أكرر أنه في أراضينا لم تجد حتى ولو وحدةٌ سياسيةٌ غير الجورجية تمكنت من أن يترك حتى ولو علامة وحيدة لنشاطتها. اليوم الفاندالية التي تهدد الثقافة الجورجية هي إحدى أسلحة فعالياتهم.

يجوز القول أن قضية أبخازيا ليست قضية الجورجيين فحسب. إن سواحل البحر الأسود الجورجية طولها ٢٠٠ كم تم ضمها وتحولت إلى قاعدة عسكرية. بالتالي إن مسألة أبخازيا لا يختص فقط بأمر ضرورة استرجاع تلك الأراضي من قبل السكان الجورجيين نفوهم من بيوتهم وما بدورها يكون أمرا في أقصى الأهمية، بل هي مشكلة شاملة ينبغي حلها برعاية تامة لمبادئ القوانين الدولية الأصلية .

أ.د. أبولون سيلاغادزه،
عضو أكاديمية العلوم لجورجيا،
السفير فوق العادة والمفوض لجورجيا
سفير جورجيا في كل من مصر والأردن وسوريا واللبنان في السنوات ١٩٩٨-٢٠٠٦

GEORGIA
0 km 20 40 60 km
© 2009 Ezilon.com All Right Reserved
RUSSIAN FEDERATION
Nal'chik
Groznyy
Nazran'
Vladikavkaz
Elbrus
Caucasus
BLACK SEA
AP'KHAZETI (ABKHAZIA)
Sokhumi
Gagra
Bichvint'a
Gudaut'a
Guiripshi
Ritsa
Tsebelda
Amtlegli
K'verno Azhara
K'veda Marghi
Mestia
Tqvarch'eli
Khashi
Svaneti's K'edi
Lech'khumis K'edi
Och'amch'ire
Ak'ubga
Ok'umi
Gali
Rukhi
Tsalenjikha
Kits'khi
Zugdidi
Martvili
Khobi
Anaklia
Senaki
Khoni
Tsaqaltubo
Tqibuli
K'ul'aisi
Chiat'ura
Ts'khinvali
SAMKHRET' OSET'I (SOUTH OSSETIA)
Ambrolauri
Oni
Sach'khere
Zestap'oni
Samtredia
Abasha
Lanch'khut'i
Ch'okhatauri
Baghdat'i
Kharagauli
Ozurget'i
Lat'uri
K'obulet'i
Bat'umi
ACH'ARA (AJARIA)
Meskhet's K'edi
Borjomi
Akhalts'ikhe
Akhalk'alak'i
Khashuri
Gori
Kaspi
Mts'khet'a
T'BILISI (TBILISI)
Rust'avi
Gardabani
Marneuli
Bolnisi
Dedop'listsqaro
Tsnori
Sagarejo
Gurjaani
T'elavi
Ts'nori
Iori's Zegani
Ivris Zegani
AZERBAIJAN
Artvin
Ardahan
Mingäçevir
Kür
Kura
Aragvi
Alazani
Iori
Ts'khenis
Mtkvari
Ts'ivi
Ts'qaltubo
Ts'khinvali
Ezilon.com
National Capital (1,300,000 in 1999)
over 150,000
over 100,000
over 30,000
other main city
other city
Capital of autonomous republic

Psou
Lake Ritsa
Bzyb'
Gagra
Pskhu
ABKHAZIA
Pitsunda
Gudauta
Kodori Valley
Novyy Afon
Kelasuri
Lata
Omarishara
Sukhumi
Kodori
Otap
Khaishi
Gulripsh
Tqvarcheli
Galidzga
B L A C K
S E A
Okumi
Okumi
Jvari
Ochamchira
Gali
Tsale
Pichori
Kahati
Zugdidi
Anaklia

١. أبخازيا وجورجيا: مواضيع التأريخ والسياسة
١.١. أبخازيا التأريخية والأبخاز التأريخيون

إن أبخازيا جزء جورجيا لا ينفصل. وتقع فى الشمال الغربى للبلد فى سواحل البحر الأسود وبين نهرين تُعدا *إنجورى* و*فسو*، وتبلغ مساحتها ٧.٨ ألف كم مربع، ومدينتها الرئيسية مدينة *سوخومى*، وقطنها دائما، فى كل مقطع من التأريخ، الجورجيون. مثلت مساحة أبخازيا الحالية منذ أعرق الأزمنة أرض القبائل الجورجية الأصلية وسميت بأسماء مختلفة. إن أبخازيا من إحدى مناطق جورجيا حيث تمت نشأة الشعب الجورجى ووضع الحجر الأول لدولة جورجيا. إن أبخازيا أحد مهاد للحضارة الجورجية، وثقافتها المحلية العتيقة جورجية الأصل بأكملها. لا يشهد التأريخ عصرا حيث كانت أبخازيا منقطعة عن بقية جورجيا، عن العالم الجورجى، ولم يحصل ذلك فى الفترة ما بعد القرنين السادس عشر-السابع عشر عندما هجر الجبليون من شمال جبال القوقاس وهم قبائل *أفسوا-أباز*، إلى أرض أبخازيا. بوجهة نظر الديانة كان وبقوا الجبليون وثنيين، رغم أن جزءا منهم اعتنق المسيحية (تحت تأثير جورجيا وروسيا) أو الإسلام (تحت تأثير تركيا).

فى بداية القرن التاسع عشر اُحتلت جورجيا من قبل روسيا فضمت أبخازيا أيضا إليها مثل المحافظات الجورجية الأخرى، فأصبحت جورجيا تحت حكم الإدارة الروسية. فى فترة الاتحاد السوفياتى أيضا، كانت أبخازيا، كجمهورية ذات الحكم، جزءا من جورجيا. فى ٣١ من مارس عام ١٩٩١ حينما أجري الاستفتاء بالنسبة لانفصال جورجيا عن الاتحاد السوفياتى وإعادتها الاستقلال، صوت ستون بالمائة من سكان الأبخازيا لاستقلال جورجيا. كان نجاح هذا الاستفتاء مسببا بالوضع الديموغرافى

المستجد فى الجمهورية الذاتية الحكم. حسب البيانات الرسمية، والتى كونت فى فترة الاشتراكية فى مصالح الأبخاز، فى يناير سنة ١٩٩٢ سكن فى جمهورية أبخازيا الذاتية الحكم ما يجتاز بقليل عن خمسمائة ألف نسمة، وبينهم عدد الجورجيين ٢٥٠ ألف نسمة، أما عدد الأبخاز فكون ٩٠ ألف فقط. وعاش فى أبخازيا أيضا الأرمان والروس والأكرانيون واليونانيون واليهود الخ وأيد جزء منهم استقلال جورجيا الوطنية وسلامتها الإقليمية. فى هذا الوضع، إن انفصال أبخازيا عن جورجيا، الأمر الذى كان فى مصالح روسيا والأبخاز المنفصلين، إنما كان فى الإمكان بطريقة حرب تنتهى إلى تغيير الوضع الديموغرافى الضار للجورجيين.

فنشبت فى أبخازيا فى العامين ١٩٩٢-٩٣ الحرب التى استفزتها موسكو. إن اشتراك روسيا المباشر أصبح سبب خسر جورجيا فى هذه الحرب. أضطر أكثر من ٣٨٠ ألف نسمة من السكان الأصليين أن يغادروا الجمهورية الذاتية الحكم، وتمت التصفية العرقية والإبادة الجماعية للسكان الأصليين وكانت أغلبيتهم جورجيين. أجريت فى أكتوبر عام ١٩٩٩ فى أبخازيا التى غادرها ما يقرب من ثلاثة أرباع سكانها، الاستفزاز غير الشرعى إطلاقا بالنسبة للاستقلال الوطنى للمنطقة. واضح أن نتيجة هذا الاستفزاز الذى اشترك فيه أقل من ربع السكان، وما يسمى باستقلال أبخازيا الوطنى، لا يقبلها ولا يعترف بشرعيتها أى دولة متحضرة أو منظمة دولية وضمنها الدول العربية. فى الواقع، إن أبخازيا محتلة من قبل روسيا التى تسيطر في السياسية والاقتصادية والأمور العسكرية فى المنطقة.

***

يعد تأريخ جورجيا كدولة ٣٥ قرنا على الأقل. إن مملكة *كولخيس* الأسطورية والتى وجدت منذ أواسط الألفية الثانية قبل الميلاد شملت أغلبية أراضى جورجيا المعاصرة وضمنها أيضا المساحة التى سميت فيما بعد بـ *أبخازيا*. كانت مساحة أبخازيا المأهولة بالجورجيين عبر عصور التأريخ جزءا لا يتجزأ من دولة جورجيا المتحدة، أو جزءا طبيعيا لوحدات سياسية والتى تكونت لفترات معينة بسبب هجومات على جورجيا من قبل بلاد متباينة (وكونها فى تلك الأحيان كون *إجريس* و*لازيكا* الخ).

تبدأ المدونات التأريخية الجورجية القديمة كـ «حياة *كارتلى*» بالبيانات عن القرابة الأصلية لشعوب القوقاز وبأسماء الأشخاص إلى من يرجع تسميات هؤلاء الشعوب (epōnymos). وطبقَ هذه المدونات التأريخية فإن المساحة الواقعة من جبال *سورامى* (والتى تفصل بين جزأي جورجيا الشرقية والغربية) حتى البحر الأسود ونهر *الخزاريا الصغرى* (أو نهر *عوبان* الحالى) تبِـع لـ*إجروس* وهو الشخصية التى يعود إليها تسمية الجورجيين الغربيين وهم الـ *إجْريين*. وقبيلة *أبازج* (abasgoi) المعروفة جيدا للكتاب الرومانيين وخاصة البيزنطيين، هم نفس الأبخاز التأريخيون. هذه هى قبيلة جورجية الأمر الذى يضيحه جميع المؤلفين الرومانيين والبيزنطيين الذين اهتموا بموضوع أنساب شعوب العالم وضمنهم هيبوليتوس الرومي (القرن الثالث الميلادى) ويوسابيوس الأنطاكى (٢٨٠-٣٦٠)، ومؤلف «Liber generationis» (عام ٣٣٤الميلادى)، ويوسابيوس القيصارى (مات ٣٤٠ الميلادى)، و ابيفانيوس القبرصي (٣١٤- ٤٠٣ الميلادى)، ومؤلف «وقائع عيد الفصح» (٦٣٠-٦٤٠)، جورجيوس سينجيبوز (القرنين الثامن-التاسع)،

ليون النحوى (القرن التاسع)، وجورجيوس قيدرينوس (القرن التاسع)، ويوحنا زوناراس (القرن الثانى عشر) وغيرهم. وفى مخططاتهم المختصة بالأنساب، هم لا يشيرون حتى ولو مرة واحدة إلى وجود قبيلتى *أفسيل* Apsilae و*أبازج* abasgoi فى هذه المنطقة مع أنهم عرفوهما جيدا. ورغم أن القبيلتين كما يزعمون أحيانا دون مسند معتمد عليه، هم سلف شعب الأبخاز الحاليين. إن المؤلفين البيزنطيين فى مخطوطاتهم المختصة بالأنساب يذكرون قبائل أفسيل وأبازج أنهما نفس *قولخيس* أو *لاز* أو *إجروس* أى الجورجيون الغربيون (راجع: Georgica، المجلد الأول، تبيليسى، ١٩٦١، ص ١١-٢٠، ٣٥، ٣٩-٤١. Georgica، المجلد الرابع، الكتاب الأول، تبيليسى، ١٩٤١، ص ٦-٩، ٦١-٦٣. Georgica، المجلد الخامس، تبيليسى، ١٩٦٣، ص:٣-٤، ١٠. Georgica، المجلد السادس، تبيليسى، ١٩٦٦، ص ١٩١).

يحدد علماء الآثار فى جورجيا الغربية – والتى تضمن أراضى أبخازيا – ثقافة جورجية متحدة. تدل البيانات الأنثروبولوجية واللغوية والاثنولوجية على وجود السكان الأصليين الجورجيين فى مساحة أبخازيا الحالية (راجع:

Essaus from the history of Georgia. Abkhazia from ancient times till the present days. Tbilisi, 2011, p. 11 – 34, 203 - 280).

. وتقر ذلك أيضا المصادر اليونانية والرومانية والبيزنطية والشرقية القديمة. وعلى سبيل المثال فإن المؤرخين اللوجوجرافيين اليونانيين هكتيوس الملطي (القرن السادس قبل الميلاد) وسكيلاس القرياندى (القرن السادس قبل الميلاد، وبلغتنا معلوماته بوسيطة المؤلف للقرن الرابع قبل الميلاد سكيلاس القرياندى الزائف)، وهيلانيك ميطيلينى (القرن الخامس قبل الميلاد)، وهيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) يشيرون إلى وجود السكان الجورجيين

الأصل فى أراضى أبخازيا الحالية وضمنها أراضى قرب *ديوسكوريا* (أو مدينة سوخومى حاليا) ويذكرونهم كـ *كولخيس*، و*قوراكسيين*، و*قوليين*، و*موسخيين* (راجع: ن. لومورى. بيانات المؤرخين اللوجوجرافيين اليونانيين عن جورجيا. – المواد لتاريخ جورجيا والقاوقاس. المجلد ٣٥. تبيليسى، ١٩٦٣، ص٣-٣٥ (باللغة الجورجية). وأيضا: ت. عاؤختشيشفيلى، بيانات هيرودوت عن جورجيا، تبيليسى، ١٩٦٠. الكتاب الأول، ١٠٤. الكتاب الرابع، ٣٧ (باللغة الجورجية).

حسب «التأريخ» لاسطرابون (بداية القرن الأول الميلادى) فإن مدينة *ديوسكوريا* (مدينة أبخازيا المركزية سوخومى) ومدينة *بيتشفيتنا* هما مدينتين جورجيتين (Strabo, XI, 2, 19). وبلينيوس الأكبر (القرن الأول الميلادى) أيضا يعتبر مدينة سوخومى مدينة كولخية (Pliny the Elder,VI, 15). آريانوس فلاڤيوس فى «الترحال حول البحر الأسود» (القرن الثانى الميلادى) يمثل من مدينة *طرابزون* (تركيا) حتى مدينة *لازيكا* القديمة (ووجدت فى الشمال الغرب من مدينة *توافسى* الروسية حاليا فى سواحل البحر الأسود) منطقة جورجية يقطنها قبائل جورجية صغيرة (Arrian, 11, 18). ويدقق المعلومات عن هذه القبائل قلاوديوس بَطْلَيموس (القرن الثانى) ومؤلف مجهول للقرن الخامس. يذكر قلاوديوس بَطْلَيموس فى مناطق مدينتي *جاجرا* و*سوتشى* الحاليتين القبيلة الكولخية «*سوآنو-كولخيس*» وفى الجنوب الشرقى منهم وحتى كبادوكيا عاشوا الجورجيون أنفسهم – *اللاز* و*المنرال* (وهم الميجريليون) وسكان *اجريس* (Ptolemy,V, 8. 25; 9. 1 – 5).

يكرر بدقة مؤلف مجهول للقرن الخامس بيانات آريانوس فلاڤيوس ويذكر فى منطقة من طرابزون إلى *ديوسكوريا* (أو سوخومى) عدة قبائل صغيرة (Anonymi periplus, 8- 10). ويضيف

وصفهم ببيان يضيح أن من مدينة سوخومى (*سيباسطوبوليس*) حتى نهر *تشوروخى* (الذى يمدى حاليا عليه الحد بين تركيا وجوريجا) «سكن سابقا قوم سموا بـ كولخيس وثم سموا بـ لاز» (Anonymi periplus, 7). وذلك البيان للقرن الخامس جاذب للاهتمام الإضافى لأنه يدقق من كانوا كولخيس التأريخيون. وحسب معلومات المؤلف فإنهم نفس قوم لاز – أى الجورجيون وليس لهم علاقة بسلف الأبخاز الحاليين مثلما يزعم بعض مزوّري التأريخ وضمنهم الانفصاليون. ويحدد مؤلفو القرن الخامس المشهورون مثل بروكوبيوس القيسراني ويوحنا الليدى وغيرهم قوم *كولخيس* أنهم *لاز*

(Procopii Caesariensis. De Bello Gothiko, VIII, 1; Ioannes Laurentius Lydus. De magistratibus, III, 34).

كما تأكدنا فإن قلاوديوس بَطْلَيموس والمؤلف المجهول للقرن الخامس يعتبران أن قبائل *أفسيل* و*أبازج* و*الـسانيجيون* إلخ التى يذكرها آريانوس فلاڤيوس أنهم قطنوا أراضى سواحل البحر الأسود الشرقية والتي شملت أراضى أبخازيا – هم الجورجيون. ويؤيدهم المؤلف اللاتينيى للقرن الرابع روفيوس فيسط آويين، إذ يؤكد أن فى السواحل الشرقية للبحر الأسود فى الجنوب الشرق من الشركس – أى فى أراضى جورجيا وبالتحديد أراضى أبخازيا – عاشوا فقط «الكولخيس النشاط» و«الإيبيريون القساة»

(В. Латышев. Известия древних писателей о Скифии и Кавказе, т. II, выпуск 2. Санкт – Петербург, 1906, с. 358 – 359).

إن العرب أيضا عرفوا جورجيا وجزأها الطبيعي – منطقة أبخازيا وذلك منذ أوائل القرون الوسطى، الأمر الذى تدل عليه معلومات ما تكفى من المصادر التأريخية والأدبية. عقد العرب حملة عسكرية فى منطقة أبخازيا مرتين. وتمت الحملة الأولى فى السنة ٧١٤، عندما دخل جورجيا الشرقية الجيش العربى برئاسة مسلمة بن عبد الملك الراجع من *خازار*، ثم دخل جورجيا الغربية

وحارب الجورجيين المحصنين فى أبخازيا وبالتحديد فى *أناقوفيا* (حاليا *آثوس الجديد*) وفاز الجورجيون فى تلك المحاربة. عقدت حملة العرب الثانية فى جورجيا برئاسة مروان بن محمد (الخليفة مروان الثانى ٧٤٤-٧٥٠) تقريبا فى السنوات ٧٣٥-٧٣٧. ودخل العرب جورجيا الشرقية وأسسوا إمارة *تبيليسى* فى السنة ٧٣٦ والتى طال عمرها بشكل ما حتى السنة ١١٢٢، ثم فى السنة ٧٣٧ دخلوا جورجيا الغربية حربا وهزموا النبيلين *داوود* و*كونستانتين* مخيدزه وهما نبيلي منطقة *أرجفيتى*، وفتحوا قلعة *تسيخي-جوچى* (وتسميته *نوكالاكيفى* حاليا)، واجتازوا نهر *قيلاسورى* وهو يجرى عبر أراضى أبخازيا الحالية والذى مثّل زمانَه حدا بين جورجيا واليونان. بعد ذلك دمر العرب مدينة *تسخومى* (حاليا سوخومى) واقتربوا من قلعة *أناقوبيا* التى تحصن بها الجيش الجورجى برئاسة ملكي جورجيا الشرقية والغربية هما *ميرى* و*أرتشيل*. ولم يتمكن مروان بن محمد من فتح هذه القلعة وكما تخبر البيانات التأريخية الجورجية فإن جزءا كبيرا من الجيش العربى أصيب بالوباء ثم بالكارثة الطبيعية فترك مروان بن محمد جورجيا (حياة كارتلى، المجلد الأول، تبليسى، ١٩٥٥، ص ٢٣٤-٢٣٩، ٢٤٥-٢٤٨. المجلد الرابع، تبيليسى، ١٩٧٣، ص ١٢٤-١٢٦، ٣٢٠، ٣٧٣، ٦٩٥، ٧٥٣، ٧٧٦، ٧٧٧ (باللغة الجورجية).

يجوز التشديد هنا على أن ملكى جورجيا الشرقية والغربية الأخوين ميرى وأرتشيل، دافعا عن قومهما فى مملكتهما فى الأرض التى تسميتها أبخازيا. أصيب فى هذه الحرب الملك ميري بجرح قاتل فتوفى بعد قليل. بعد ذلك ملك مملكته زوج ابنته وهو نبيل أبخازيا *ليون*. واستخدم وريثه ليون الثانى الوضع الخارجى والداخلى المفيد ووحد جورجيا الغربية وسماها أبخازيا وحررها عن السيطرة البيزنطية. وحكم الملك ليون الثانى جورجيا

الغربية تحت لقب ملك الأبخاز (حياة كارتلى، المجلد الأول، ص ٢٥١(باللغة الجورجية). وكان فى ذلك له حق قانونى لأن ميرى منحه عرش جورجيا الغربية.

هكذا تأسس مملكة جورجيا الغربية أى ممكلة أبخازيا وكانت عاصمتها مدينة *كوتايسى*. وابتداء من ذلك الزمن فإن التسميتين *أبخازيا* و*أبخاز* اللتين كانتا قبل ذلك رمزا لإحدى القبائل الجورجية رمز منذ الآن إلى جورجيا الغربية وقاطنيها الأصليين الجورجيين. ويستغل المنفصلون المعاصرون موضوع مملكة أبخازيا لأهداف مغرضة إذ يزعمون أنها كانت مملكة ليس جورجية بل أبخازية بمعنى أنها *أبسوايوية*. إن هذا الافتراض بعيد كل البعد عن الحقيقة فيخفى المنفصلون الواقع أن كل وراثة مملكة أبخازية السياسية وخاصة الثقافية الغنية والفريدة من نوعها التى وصلتنا، كما هو يتضح للقراء فى الباب الثانى من هذا الكتاب، إنما الوراثة الجورجية. ويدمر الاحتلاليون والمنفصلون فى أيامنا هذه الثقافة الجورجية الفريدة أو يغيرون شكلها.

لا أثر لنشاطة إثنية غير الجورجية حتى فى ذلك الجزء من المملكة الأبخازية الذى دُعى كمحافظة أبخازيا ووجدت فى الشمال الغرب من آثوس الجديد. فى هذه المنطقة أيضا نجد فقط آثار الثقافة الجورجية (راجع الباب الثانى من هذا الكتاب). وجد فى حدود محافظة أبخازيا وبالتحديد فى مدينة بيتشفينتا، كرسى كاثوليكوس (جاثليق) جورجيا الغربية أى أبخازيا. إن جثالقة أبخازيا شخصياتهم معروفة جيدا فى التأريخ وكلهم كانوا جورجيين. وكانت لغة العبادة اللغة الجورجية على ما تدل مثلا إنجيل بيتشفينتا التابع للقرن الثانى عشر ومصادر تأريخية عديدة أخرى. ومعروف كذلك عشرات من الأسماء والأسماء العائلية للفلاحين تبعوا دار كاثوليكوس الأبخازية وكل هذه الأسماء أيضا جورجية

(Essaus from the history of Georgia. Abkhazia. Tbilisi, 2011,p. 194 – 196).

إن الاحتلاليين والمنفصلين، غرضَ تزوير واغتصاب تأريخ جورجيا يخفون حتى عن سكانهم تلك البيانات المذكورة أعلاه التى تؤكد أن مملكة الأبخاز مثلت مملكة جورجية ولا علاقة بها لسلف *أبسوا* – الأبخاز الحاليين. لا توجد فى الدورات العلمية ولا فى الطبيعة أى دلائل تناهض ذلك. تقر بيانات مصدر جورجي فريد من نوعها تحت عنوان «ديوان الملوك الأبخاز» أن جنسية هؤلاء الملوك إنما كانت جورجية وتؤكد هذا كما يبدو من الجزء الثانى لهذا الكتاب، المكتوبات المتعددة التى نقشت باسم هؤلاء الملوك.

يبدو طبيعيا أن جورجيا الغربية أى أبخازيا بعينها كانت إحدى العناصر السياسية والعسكرية القوية التى وحدت جورجيا المجزأة تحت ضعط العدوان الخارجى من جديد فى نهاية القرن العاشر. رأست دولة جورجيا المتحدة سلالة باجراطيونى الملكية وأسسها باجراط الثالث (السنوات ٩٧٨-١٠١٤) – وهو من قاد أمر استعادة اتحاد دولة جورجيا. ولذلك فإن ألقاب الملوك الجورجيين بدأت بالكلمات: «ملك الأبخاز...» ما تلا بتسميات مناطق وجماعات إثنية أخرى بالترتيب الذى انضمت حسبه تحت دائرة اختصاص جورجيا المتحدة. على سبيل المثال، إن لقب باجراط الثالث الكامل الذى تكوّن تدريجيا مع توحيد البلد أخذ نهائيا الشكل كالتالى: «ملك الأبخاز والكرتفيليين، وملك طاو والران، القاخيين والقربلاط الكبير لكل أراضى الشرق» (الدراسات فى تأريخ جورجيا. أبخازيا. تبيليسى،٢٠٠٧. ص ١١٩(باللغة الجورجية). وأهم الأشياء هنا أن نلاحظ أن المصطلح «الأبخاز» فى ألقاب الملوك الجورجيين يعنى «جورجيا الغربية وأهلها» أما المصطلح «الكرتفيلي» (هكذا يدعو أنفسهم الجورجيون) فيعنى «جورجيا

الشرقية وأهلها». إن تشكيل الألقاب الملكية للملوك الجورجيين معطى فى التفاصيل فى المدونات التأريخية الجورجية.

أما المؤلفون الأجانب فهم ذكروا كثيرا ما الملوك الجورجيين بألقاب مقتصرة كملوك الأبخاز أما البلد نفسه كأبخازيا. ابتداءا من ذلك الحين فإن معنى مصطلح أبخازيا تبحر معنويا وشمل جورجيا كلها والأمة الجورجية جميعا الأمر الذى تشير إليه أمثال عديدة واردة فى المصادر البيزنطية والشرقية وخاصة العربية التأريخية. يكون ذلك الواقع برهانا إضافيا متينا فى تصفية معني المصطلحين أبخازى وجورجى أو أبخازيا وجورجيا. أما الانفصاليون فهم يستغلون تلك الدلائل لترويج التأريخ الجورجى كتأريخ الأبخاز الحاليين.

يستخدم مؤلفو القرون الحادى عشر-الخامس عشر كثيرا ما للتعبير عن *جورجيا* و*الجورجى* مصطلحات كـ أبخازيا/أبازجيا وأبخاز/أبازج (نودار لوموری. تسميات جورجيا فى المصادر البيزنطية. – المصطلحات الجورجية والأجنبية للتعبير عن جورجيا والجورجيين. تبيليسى، ١٩٩٣. ص ٨٢-٨٣ (باللغة الجورجية). يمكننا أو نذكر بينهم مؤلفي القرن الحادى عشر جورجوس قيدرينوس وميخائيل أطالياطيس ومؤلف القرن الثانى عشر يوحنا زوناراس، واكفتيمى المؤرخ للرقنين الثالث عشر-الرابع عشر وغيرهم (راجع الوثائق المناسبة والتفسيرات فى:
Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии. Тбилиси, 1997, с. 199, 217, 557 – 558, 562 – 563, 586 – 587).

محفوظة فى أرشيف الفاتيكان رسالة ملكة جورجيا *روسودان* كتبت فى السنة ١٢٢٤ إلى بابا روما هونريوس الثالث (١٢١٦-١٢٢٧). فصدقوا فى مكتب البابا على هذه الرسالة كالتالى: رسالة ملكة أبخازيا (إليا طاباغوا. جورجيا فى أرشيفات ومخازن

كتب الأوروبية، الكتاب الأول، ١٩٨٤. ص١٧٦-١٧٧(باللغة الجورجية).

فى المصادر الأذربيجانية والفرسية (خلقانى ونظامى وغيرهم) أبخازيا والأبخاز مذكوران بمعنى جورجيا والجورجى أو جورجيا الغربية، ولا يقصد بهما أبخازيا والأبخاز الحاليين على الإطلاق. فيكتب خاقانى (القرن الثانى عشر): «أصبحت من سكان أبخازيا فتكلمت باللغة الجورجية»

(«Стал я жителем Абхазии и заговорил по-грузински» (А. Н. Болдырев. Два ширванских поэта Низами и Хакани. - В книге: Памятники эпохи Руставели. Ленинград, 1938, с. 137).

يكرر نظامى الكنجاوى أيضا (القرنين الثانى عشر-الثالث عشر) مصطلح الأبخاز وأبخازيا إنما بمعنى جورجيا والجورجيين. فيكتب حينما يقصد زواج ملكة جورجيا تامار من الأمير الروسى: «الحق يا شاه، وأغث من ضغط الروس الذين يبحثون فى أرجوحات أبخازيا العروس»

(Низами Гянджеви. Искандер – наме. Баку, 1983, с. 285).

ذكر نظامى الكنجاوى فى قصيدته «خوسرو وشيرين» أن أماكن اصطياد *أتاباج* (مربى أبناء صفوة من الناس) اسمه *الديجيز* كانتا منطقتا أبخازيا ودربند. برأى المؤرخ الأذربيجانى إن مدينة أبخاز المذكورة فى المصادر الفرسية والعربية وقعت فى أراضى خاتشماز الأذربيجانية أو قرب مدينة كوب

(Историческая география Азербайджана. Баку, 1987, с. 73).

علينا أن نلاحظ أنه فى القرون الوسطى وجدت مدينة بنفس التسمية فى جورجيا الشمالية الغربية أيضا وبالتحديد قرب مدينة سوتشى التى تدخل حاليا حدود روسيا. ويدل على ذلك كثير من المصادر الكتابية والخرائطية ونذكر من بينها مثلا خريطة للقرن الثالث عشر من مدينة البندقية، وخريطة لبطرس فيسكونطى

(١٣١٨)، وخريطة لأخوين بيتسيجانى (١٣٦٧)، وسوليرى (١٣٨٥) وغيرهم

(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии. Тбилиси, 1997, с. 820 – 830).

كانت فى تلك الأزمنة كلتا مدينتين أبخاز ضمن حدود جورجيا. وبرأينا إن وجود مدينتين بنفس التسمية فى أراضى بلد واحد يشير إلى وظيفتهما الهامة لذلك البلد. ولم يكن ذلك اشتثناء وحيدا. فعلى سبيل المثال مثلت دربند والتى يعنى تسميته باب الحديد، الواقعة فى سواحل بحر قزوين نقطة جورجيا الأقصى فى الشمال الشرق. وفعلا كانت وظيفة مدينة دربند وظيفة باب حديدي. ويجذب الاهتمام أن مدينة واقعة فى سواحل البحر الأسود فى الشمال الغرب لجورجيا *جاجرا* تُذكر عند بعض المؤلفين بتسمية باب الحديد. (راجع الملحق – خريطة القوقاز الواردة فى «جيهان-نوما» لكَبيت جلبى). تدل هذه الحقيقة دون شك على أن المدينتين تحت تسمية دربد الموجودتين ضمن بلد واحد كانت لهما نفس الوظائف مثل مدينتي أبخاز (راجع عن ذلك:

Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии. Тбилиси, 1997, с. 577 – 578).

يمكننا القول بالتأكيد أن لا علاقة للأبخاز الحاليين بمدينتين أبخاز ودربند للقرون الوسطى الموجودتين فى سواحل البحرين الأسود والقزوين.

تذكر المصادر التأريخية للقرنين الثانى عشر والثالث عشر كالعادة جورجيا وملوكها كأبخزيا وملوك أبخازيا. ومن هذه المصادر نص لمؤلف مجهول نشأ فى السنة ١١٢٦، والذى يختص بهجوم أتراك السلاجقة الأول على القوقاس الجنوبى. ومؤلفات لابن فندق (١١٦٨) وابن اسفنديار (القرنين الثانى عشر- الثالث عشر) وابن بيبي (نهاية القرن الثالث عشر) وغيرهم

(راجع: قارلو طاباطادزه. مصطلحات التعبير عن جورجيا والجورجيين فى القرون العاشر-الخامس عشر حسب المصادر الفرسية. – المصطلحات الجورجية والأجنبية للتعبير عن جورجيا والجورجيين. تبيليسى، ١٩٩٣. ص ٢١٨-٢٢٢(باللغة الجورجية).

Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия-историческая область Грузии, с. 217, 585-586).

ابن محمد جوين (١٢٢٦-١٢٨٣) الذى يعطينا معلومات عن حملة جلال الدين فى جورجيا ومؤلفو القرنين الرابع عشر-الخامس عشر الذين يحكون عن حملات تيمور لينج فى جورجيا (مثل معين الدين نتانزى، ونظام الدين، وشرف الدين، وحافظو عبر وغيرهم) يعنون تحت مصطلح أبخازيا جورجيا الغربية (راجع: قارلو طاباطادزه. مصطلحات...، ص ٢٤٥-٢٥١).

فى المصادر الرمانية للقرون الوسطى أيضا أبخازيا وأبخاز إنما يعنى جورجيا الغربية والجورجيين. ولا شك في أن المصطلح لا يقصد حتى ولو عند مؤلف واحد سلف أفسوا أى الأبخاز الحاليين (هيلين تساجاريشفيلى. مصطلحات التعبير عن جورجيا والجورجيين فى المصادر الأرمانية الكتابية.–المصطلحات الجورجية والأجنبية للتعبير عن جورجيا والجورجيين. تبيليسى، ١٩٩٣. ص١٥٣-٢٠٨ (باللغة الجورجية). وعلى سبيل المثال: يذكر يوحنيس دراسخاناقيرطى (القرن الحادى عشر)، وشابوخ باجراطون الزئف (القرن العاشر) وسطيفانوز طارونى سوخيق (القرن الحادى عشر) ملوك أبخزيا كملوك لازيكا أو اجريس. أما لازيكا واجريس فهما تسميتي جورجيا الغربية التأريخية. وحسب بيانات مؤرخ أرماني آخر اسمه فاردن فاردابيط (القرن الثالث عشر) إن ملوك أبخازيا هم نجل ملك جورجيا الكبير للقرن الخامس

فاخطانج جورجاسالى. ويذكر مؤلف الجزء الثانى للقرن الثالث عشر كـخيتار أيرافانيتس أن الأبخاز وملوكهم هم الجورجيون (راجع المصادر الأرمانية وتفسيراتها فى:

Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии. Тбилиси, 1997, с. 192-193, 196-197, 208-209, 216-217, 550-551, 554-556, 572-573, 584-585).

المصطلحات الأبخاز والأفخاز والأبخاس، حسب المصادر العربية هى مصطلحات التعبير عن جورجيا التى دخلت اللغة العربية من الجورجية. مثلا فى عمل المسعودى كلمة أبخاز تعنى جورجيًا من جورجيا الغربية. بلاد الأبخاز والأبخاز يقصد بهما عند أبي القاسم أيضا جورجيا وسكانها الجورجيين. أما حسب الاسفهانى وابن العديم فيعنى الأبخاز جورجيًا سواء أكان من جورجيا الغربية أم الشرقية. فى بيانات الحسين والنساوى فإن المصطلحات كورجى وبلاد الكورج وبلاد الأبخاز هى نفس الأشياء. ملوك جورجيا المتحدة جورجى الأول (١٠١٤-١٠٢٧)، وباجراط الرابع (١٠٢٧-١٠٧٢)، وداوود الرابع (١٠٨٩-١١٢٥)، وديميطرى الأول (١١٢٥-١١٥٦)، وجورجى الثالث (١١٥٦-١١٨٤) عند المؤلفين العرب مثل يحى الأنطاكى والحسين والاسفهانى والفريق، مذكورون كملوك الأبخاز أو ملوك الأبخاز والجورجيين. الجوغرافى العربى ياقوت فى «معجم البلدان» يلاحظ عند تفسير مصطلح أبخاز أنه تسمية إحدى مناطق جبل قبق (قوقاس) المجاورة لبلاد اللان المأهولة بالأهل المسيحيين تسمى الكورج وهناك اجتمع الكورج ونزلوا نحو ضواحى تبيليسى، وطردوا منها المسلمين، واستولوا عليها فى العام ١١٢٢ م، وكانت أبخاز ملجأهم وعندما اتجه خوارزمشاه جلال الدين فى العام ١٢٢٦ نحوهم وهجم عليهم فحاول أن يحرر تبيليسى منهم. وحينئذ هربت ملكتهم إلى أبخاز ولم يبق من البلاط

الملكى إلا هى (راجع: جوتشا دجافاريدزه. البحوث فى تأريخ جورجيا والشرق الأدنى، المجلد الأول. ص ١٩-٢٤. معلومات ياقوت عن جورجيا والقاوقاس. الجزء الأول. صدرت النص العربى وزودته بالترجمة الجورجية والمقدمة اتير سيخارووليدزه، تبيليسى،٤٦٩١، ص ١ (باللغة الجورجية). الملكة يذكرها ياقوت هى الملكة روسودان (١٢٢٣-١٢٤٥) التى اضطرت إلى أن تنتقل من أجل هجوم جلال الدين على مدينة تبيليسى فى السنة ١٢٢٦ إلى جورجيا الغربية مدينة كوتايسى. بالتالى لياقوت ولعلم تدوين التاريخ العربى كله فإن كلمة أبخاز للقرون الوسطى تعنى جورجيا بسكانها الجورجيين وليس تلك المنطقة التى تسمى حاليا بـأبخازيا. كما تأكدنا إن هذا المصطلح عبر عن جورجيا الشاملة وعن الجورجي.

يستغل المنفصلون وقائع عديدة لورود مصطلح أبخازيا بمعنى جورجيا كما سبق ذكره لمصالحهم أى تزوير تأريخ مملكة الأبخاز (أى جورجيا الغربية) وجورجيا الشاملة. قد يكون أحد نماذج ترويج تأريخ الجورجيين بمثابة تأريخ أفسوا-الأبخاز الحاليين، محاولة تشويه ترجمة عربية لاحقة لعمل المؤلف اليونانى للقرن الرابع أجاتانجيلوس. يختص العمل المذكور بخبر تعميد قوم الأرمان والجورجيين والأبخاز والآلانيين من قبل جريجوريوس المقدس واعتناقهم المسيحية. اكتشف ترجمته العربية فى السنة ١٩٠٢ فى مخزن الكتب فى دير جبل السيناء المستشرق المشهور نيكو مار ونشره مزودا بالترجمة الروسية والبحث الشامل فى بيتسبورج سنة ١٩٠٥

(Записки Восточного Отделения Императорского Русского Археологического Общества, т. 16, выпуск 2-3. С.-Петербург, 1905, с. 63-211).

واتضح أن فى الترجمة العربية للعمل التسمية لاز (قبيلة

أصلية فى غرب جورجيا) كانت مستبدلا بـ أبخاز. لاحظ نيكو مار فى بحثه معتمدا على براهين ثابتة أن فى النص العربى مقصود من هذه الكلمة لاز ولازيكا وليس الأبخاز الحاليين
(Записки Восточного Отделения…, с. 165-166).

وفى الأصل اليونانى أيضا مذكور «لاز». بالاختصار، إن المترجم العربى يذكر، مثل المؤلفين الآخرين، سكان جورجيا الغربية مستخدما المصطلح ابخاز. المؤرخون أفسوا-الأبخاز أيضا يتقنون معرفة تلك الوقائع غير أنهم يشددون مزورين التاريخ الجورجي على أن فى العمل المذكور أعلاه مقصودة ليس قبيلة جورجية بل سلف أفسوا-الأبخاز ما لا يطابق الحقيقة على الإطلاق (جمال جماخاريا. أبخازيا والأرثودوكسية. تبيليسى، ٢٠٠٥. ص٤٨-٥٠. جوتشا جافاريدزه، البحوث... ص ١٨-١٩ (باللغة الجورجية).

يحاول المنفصلون بوسيطة التأريخ المزيف حلول ذهان ضد الجورجى والتأثير على السكان الأبخاز إيديولوجيا إذ يزعمون أن أبخازيا كانت منفصلة عن جورجيا تاريخيا. للحصول على هذه الأغراض لا يجانب المنفصلون حتى تشويه البيانات التأريخية والكذب الصارح
(Essays from the history of Georgia. Abkhazia. Tbilisi, 2011, p. 126).

مثل واحد فقط لذلك: يراجع المنفصلون فى مطبوعاتهم كثيرا أُخطانيس وهو مؤرخ أرمانى للقرن العاشر إذ يكتبون أن القبيلة التى عاشت فى ساحل البحر الأسود ازدهرت وكثرت وشملت تلك المنطقة وامتدت حتى حدود أرمينيا وألبان (اذربيجان). ويقطع المنفصلون فى هذا المكان مراجعة أُخطانيس ومؤكدين لناسهم أن فى القرن العاشر المؤلف الأرمانى يقصد سلف الأبخاز المعاصرين وبلدهم
(М. Гумба. Абхазия в первом тысячелетии. Сухуми, 1989, с. 12; О.

Бгажба, С. Лакоба. История Абхазии. Сухуми, 2007, с. 156).

وبذلك يشوهون مضمون المصدر الأرمانى. فى عمل أُخطانيس الذى يختص بالانشقاق الكنائسى بين الجورجيين والأرمان لم يذكر الأبخاز على الإطلاق. برأى أُخطانيس ازدهرت فى ساحل البحر الأسود وكثرت وامتدت حتى حدود أرمينيا واذربيجان قبائل الإبيريين العبيد الذين جأوا من الشرق. حسب أُخطانيس إن فى البلاد الذى يسمى بـ أبخاز تعيش قبيلة تسمى فى بلدهم الأصلي بيريا (أى إبيريا) أما هنا فهم يدعون كالجورجيين (أُخطانيس. تأريخ انشقاق الجورجيين والأرمان. صدر النص الجورجي وزوده بالترجمة والتفسيرات زازا أليكسيدزه. بتيليسى،١٩٥٧، ص٥٧. تتطابق فى هذه المسائل وجهة نظر أُخطانيس وياقوت بعضها البعض تماما). يجهد المنفصلون لإخفاء الجزء النهائى والأهم لهذا الاقتباص. ولذك هو المثل الناموذجى لطريقة تزوير التأريخ من قبل المنفصلين وكيفية اختلاس التأريخ الجورجى والكذب على المجتمع الدولى. وما أكثر نماذج لتلك المحاولات.

امتدت حدود مملكة جورجيا الشمالية الغربية حتى أواسط القرن الرابع عشر إلى قلعة *نيقوفسيس*. فى العصر الكلاسيكى القديم، تقريبا حتى القرن الخامس، سميت هذه القلعة بـ لازيكا ووقعت فى الشمال الغرب من مدينة توافسى التى توجد فى فيديرالية روسيا حاليا. فى أراضى أبخازيا الحالية التى كان منطقة من المناطق الجورجية ازدرهت إنما الثقافة الجورجية ونالت مستوى عال. فى نفس الوقت لا يظهر أثر نشاطة سياسية وثقافية لأهل غير الجورجيين وكذلك لا أفسوا-الأبخاز، فى تلك الأراضى (ما يتضح من المصادر الكتابية والاثار المعمارية وأسماء الأماكن الخ). يمكننا فقط أن نفترض أن ابتداء من الجزء الثانى للقرن الثانى عشر فى أعقاب الهجوم المنغولى، قوم أفسوا (أبزوا abzoa)

الذين قطنوا قبل ذلك فى القرن الأول الميلادى، حسب بيانات بلينيوس الأكبر، أراضى شمالا من مدينة اسطراخان فى ساحل نهر فولجا

(В.В. Латышев. Известия древних писателей, т. II, выпуск I. Санкт-Петербург, 1904, с. 180.).

تحركوا إلى الجنوب الغربى، ودخلوا أراضى جورجيا الشمالية الغربية الأقصى ولكنهم لم يبلغوا أراضى أبخازيا المعاصرة.

فى فترة سيطرة المنغول (ابتداء من أواسط القرن الثالث عشر وإلى أواسط القرن الرابع عشر) تبدأ عملية تفكك الدولة الجورجية المتحدة. نشأت فى البداية مملكة *إيميريتى* (وهى منطقة جورجية فى غرب البلد) – التى كانت وريثا قانونيا للمملكة الأبخازية التاريخية. ثم انفصلت منها تستقل تدريجيا المحافظتين الـ*ميجريلية* والـ*جورية*. كانت مساحة أبخازية جزءا للمحافظة الميجريلية وضمت أراضى من أناقوفيا (آثوس الجديد) حتى نهر بزيفي. ملك جورجيا البارز جورجى الخامش الرائع (١٣١٣-١٣٤٦) حرر البلد من سيطرة المغول فأعاد اتحاده. وكان حد جورجيا الشمالى الغربى لا يعود ينتشر حتى نيقوفسيا ولكنه رغم ذلك شمل بين إطاره أراضى أبخازيا. تمكن وريثو جورجى الرائع وخاصة أليكساندر الأول (١٤١٢-١٤٤٣) من الاحتفاظ على وحدة البلد وتقويته. ولا تزال محافظة أبخازيا – منظفة جوداوتا الحالية – ضمن حدوده. أناقوفيا ومدينة تسخومى والأراضى الواقعة جنوب غربهما حتى نهر إنجورى كانت جزءا طبيعيا لمحافظة مجريليا الأمر الذى يتأكد بعديد من المصادر الكتابية أو الخرائطية الجورجية أو الأجنبية.

يمكننا أن نذكر على سبيل المثال بيانات من «الجغرافيا» للمؤرخ والجغرافى والكيمياوى والشاعر العربى للقرن الثالث

عشر-الرابع عشر أبى الفداء الذى يلاحظ أن مدينة أبخاز التى وقعت قرب سوتشى المعاصرة هى أحد موانئ الجورجيين
(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии. Тбилиси, 1997, с. 220 – 221, 589 – 590).

حسب بيانات المؤرخ العربى الآخر المهب (القرن الرابع عشر) كان للجورجيين ملكان – داوود وداديمان (يعنى داديان) – وهو الملك الذى يملك سوخومى وأبخاز. ويكرر تلك البيانات المؤرخ والمعجمى العربى للقرن الخامس عشر القلقشندى (بيانات المؤرخين العرب للقرنين الرابع عشر-الخامس عشر عن جورجيا. ترجم من العربية وزود بالمقدمة والتفسيرات ديطو جوتشاليشفيلى. تبيليسى، ١٩٨٨. ص ١٦٢-١٦٩. (باللغة الجورجية). من المستحب أن نتناول هذا الموضوع بنظرة موجزة: إن المنفصلين يزورون التأريخ قصدا ويحاولون أن يتظاهروا أن لأفسوا-الابخاز كانت فى أوائل القرون الوسطى العلاقات التجارية الاقتصادية مع أوروبا وخاصة مع جنوة. ولكن حقيقة الأمر تختلف.

معروف أن فى القرنين الثالث عشر-الرابع عشر كان الإيطاليون نشيطين فى التجارة مع بلاد حوض البحر الأسود. وبرز بينهم فى الأوائل البندقيون الذين كان لهم ابتداء من السنة ١٣١٩ فى طرابزون ومن السنة ١٣٣٣ فى مدينة طانا (أزوف) مصانعهم. حسب المصادر الإيطالية تاجر هذه المصانع الجورجيون السوخوميون أيضا.

ابتداء من الستينات للقرن الثالث عشر تنتقل أولية التجارة على البحر الأسود إلى الجنويين وأصبحت مدينة سوخومى/ سيباسطوبوليس جاذبة الاهتمام للجنويين. يتأكد وجود الإيطاليين فى هذه المدينة للمرة الأولى فى السنة ١٢٨٠ عندما اشترى جنوى

من جنوى آخر سفينة تجارية « Mugetto» وشهد على وثيقة الشراء البيع موثّق إيطالى فى سوخومى.

كما يبدو فإن جالية الجنويين أصبحت كثير العدد إلى درجة أنه عُيّن فى سوخومى الاساقفة الكاثوليكيون وشخصياتهم معروفة. ونالتنا رسالة بعثها من سوخومى إلى الانجلترا الاسقف بطرس جيرالدى للمطران القنطبيري فى السنة ١٣٣٠، حيث يلاحظ فى رسالته أن فى سيباسطوبول (سوخومى) فى جورجيا التحتانية (inferioris Georgiane) يسكن الجورجيون وأمير البلد الذى هو يعيش ويعمل فيه حاليا، هو بعينه فى نفس الوقت القائد العسكرى الخ (ف. كيكنادزه، مصدر لاتينية للقرن الرابع عشر عن جورجيا. – أعمال جامعة تبيليسى الحكومية، التاريخ وعلم الفنون واثنوجرافيا. تبيليسى، ١٩٨٣. المجلد ٢٤٣. ص١٠١-١٠٣ (باللغة الجورجية).

قصد بطرس جيرالدى فى هذه الرسالة محافظة مجريليا (وتابعتها مدينة سوخومى) وقائدها ماميا الأول داديانى (١٣٢٣-١٣٤٥). هو فعلا كان قائدا عسكريا لجنود جورجيا الغربية. لم يعرف بطرس جيرالدى والأساقفة الآخرون الذين عُيّنوا فى سوخومى حتى القرن الخامس عشر أسلاف الأبخاز الحاليين، لأنهم لم يكونوا يسكنون فى تلك الأزمنة هناك قط.

تنشطت العلاقات التجارية الاقتصادية بين جنوة وجورجيا من العام ١٣٥٤ عندما أسس الجنويون بترخيص أمير مجريليا جورجى الثانى داديانى (١٣٤٥-١٣٨٤) مصنعهم الذاتي الحكم الذى واصل يعمل بنجاح حتى السنة ١٤٧٥ بجانب المصانع الأخرى فى سواحل البحر الأسود والتى تبعت للمؤسسة الخاصة «أوفيسيوم جازاريا». قادت «أوفيسيوم جازاريا» المصانع بوسيطة قنصل قفا الذى كان يعين قنصل سوخومى أيضا. تنقل

حق قيادة مصانع الجنويين فى نوفمبر ١٤٥٣ إلى بنك القديس جرجس. يحكى عن مصانع الجنويين السوخومية عديد من مصادر إيطالية وهى تؤكد دون ريب أن للتجار الجنويين فى الساحل الشرقى للبحر الأسود كانت العلاقات مع الجورجيين فقط مع من كانت تسوى صراعات أيضا إن ظهرت. عدة أمثلة لذلك: فى مايو ١٤٦٥ طلب حماة بنك القديس جرجس من قنصل قفا أن يتصرفوا فى سوخومى حذرا لئلا يضروا التجارة مع مجريليا. وطلبت التعليمات المرسلة من نفس البنك فى يونيو ١٤٧٢ إلى قفا غرض تسوية صراع بين الجورجيين والجنويين، أن يبعثوا سفيرا إلى ابن الأستاذ بينديانو. حماة بنك جرجس القديس فى تعليماتهم الصادرة فى ١٥ ديسيمبر ١٤٧٢ والتى أُرسلت إلى فقا أيضا عبروا عن سرورهم بالنسبة إلى أن لهم أمل فى أن يعقدوا عقدا مع الأستاذ بنديان أمير المجرال

(Т. Берадзе. Мореплавание и морская торговля в средневековой Грузии. Тбилиси, 1989, с. 110).

ويظهر من التعليمات المبعوثة فى الرابع من ديسيمبر ١٤٧٥ إلى قفا أن الصراع بين الطرفين قد سويت. يقال فى الرسالة: «أنتم سويتم الأمر مع بيديان أمير المجرال بنجاح». إن بينديانو أو ابن بينديانو الوارد فى المستندات الإيطالية هما أميران لمجريليا ليباريط الأول داديانى (١٤١٤-١٤٧٠) ووريثه شامادوليه داديانى (١٤٧٠-١٤٧٤) ووامیع الثانى داديانى (١٤٧٤-١٤٨٢).

التاجر والديبلوماسى البندقي يوسوفاط باربارو، الذى كان فى مدينة طنا (آزوف) فى الفترة ما بين ١٤٣٦-١٤٥١، كتب أن ملك مجراليا اسمه بينديان وهو يحكم على قلعتين عظيمتين تشرفان على البحر الأسود هما قلعتا باتومى وسوخومى. ويذكر الأخيرة بعنوانها الكلاسيكية سيباسطوبوليس

(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область

Грузии, 226 – 227, 595 – 597).

بالتالى، فحسب المستندات الوثيقة، كانت سوخومى مدينة تدخل محافظة مجريليا حيث يوجد المصنع الذاتي الحكم والكنائس الأرثودوكسية والكاثوليكية أما التجار البندقيون والجنويون فهم تعاملوا مع الجورجيين السوخوميين وليس أسلاف الأبخاز الحاليين، إنهم تعاملوا مع أمراء المنطقة داديانى وليس مع أسلاف الأبخاز الحاليين ما يزعم كذبا المنفصلون المعاصرون.

بعد فتح القنسطنطينية من قبل العثمانيين (٢٩ مايو ١٤٥٣) تغير الوضع فى حوض البحر الأسود تمام التغير. هجم على سوخومى ليس العثمانيون فقط بل «أفوجازو» أيضا وهم أسلاف الأبخاز الحاليين وقطنوا فى تلك الأزمنة أراضى خارج أبخازية الحالية (راجع خرائط لبطرس فيسكونتى للسنة ١٣١٨ واخوين بيتسيجانى لـ١٣٦٧وجاكومو دى ماجالو لـ ١٥٦٣ وغيرهم). تحتوى على خبر عن هجوم العثمانيين وأفوجازو رسالة مبعوثة إلى إيطاليا من قبل جيراردو بينيلى، وهو قنصل جنوى لسوخومى، فى أواخر السنة ١٤٥٤ حيث نقرأ: «أنا استوليت قنصلية سيباسطوبوليس (أى سوخومى)... وعشت هنا بعض الوقت... وفجاءة هجم على المدينة أفوجازو وهرب السكان جميعا لينجوا أنفسهم. وأنا مثلهم. وأراد أفوجازو أن يعبدوا أعلبيتهم. ما عدا ذلك، أخبركم أن قبل وصولى هجم الأتراك علي المدينة وسلبوها

(Essays from the History of Georgia. Abkhazia. Tbilisi, 2011, p. 158-159).

فتح العثمانيون فى العام ١٤٧٥مصانع الجنويين فى قفا والقرم فأغلق مصنع سوخومى. تحتوى مواد إيطالية تصف عمل هذا المصنع على معلومات مهمة تختص بالتاريخ الاثني السياسى لأبخازيا ويكون مصدره يشير مباشرة إلى أن سوخومى فى تلك الأزمنة حكمت من قبل سلالة داديانى وأهم الأشياء أن قاطنيها

كنوا الجورجيون الذين تعاملوا مع الجنويين أما أسلاف الأبخاز الحاليين فتمثل «تعاملهم» مع الجنويين فى الهجومات والسلب الأمر الذى أدى، مع الظروف الأخرى، إلى إغلاق المصنع الجنوى فى سوخومى.

تفككت دولة جورجيا فى نهاية القرن الخامس عشر إلى عدة ممالك والمحافظات. بقيت محافظة أبخازيا بمدينتها سوخومى فى حدود محافظة مجراليا. تصف إحدى وثائق التركية الحكومية لثلاثينات القرن السادس عشر الطرق المؤدية إلى جورجيا والمناطق الموجودة فى حدودها بدقة وترتيب. تحكى الوثيقة أولا عن جورجيا التى توجد فيها فى ضفة النهر بلد كوتايسي. وتحت كوتايسي توجد بلاد جوريا التى تجاور طرابزون. بعدها وحتى سوخومى يوجد بلد داديانى. وهى (سوخومى) كانت فى قديم الزمن ميناء. تنخفض عندها منحدرات جبل إلبروس. وبعدها بلاد الأبخاز. وراء الجبل يقع بلد شركيس. (المصادر التركية عن تاريخ سامتسخى-ساتاباجو للربع الأخير للقرن السادس عشر. نشرت الوثائق التركية وزودتها بالترجمة الجورجية والبحث والملاحظات تسيسانا أبولادزه. تبيليسى، ١٩٨٣. ص٥٧ (باللغة الجورجية).

حربت أبخازيا مثل المحافظات الأخرى للحرية الأكثر. فى أواسط القرن السادس عشر حكماء أبخازيا بمساعدة القوم الجبليين وكانت أغلبيتهم وثنيين وجزؤهم كانوا مسلمين، فتمكنوا من الاستقرار في موقفهم. اضطر فى الظروف الجديدة جاثليق جورجيا إفديمون الأول (تشخيدزه) إلى مغادرة محافظة أبخازيا ونقل مقر الجاثليق من مدينة بيتشفينتا إلى جيلاتى. توقف عمل حوالى ثلاثين كنيسة وديرا فى مناطق جاجرا وجوداوتا.

الظروف المتطورة فى محافظة أبخازيا كانت متسببا بعوامل

خارجية وتضاؤل جورجيا. فى ٢٩ مايو ١٥٥٥ عقدت بين إيران وتركيا مسالمة على أساسها قسمت بينهما جورجيا. وأصبحت تحت تأثير إيران جورجيا الشرقية، أما تأثير تركيا فانتشر فى جورجيا الغربية. دخل الجيش التركى برئاسة مصطفى باشا جورجيا وفتح سوخومى. مثلما كتب المؤرخ J. Boissardo فى كتابه "Vitae et ikones Sultanorum, Prinzipum Persarum" (Francfurti, 1581)، عُيّن من أجل وضع الحد لاستقلال الإيبيريين الجورجيين فى باتومى وسوخومى بكلربكيون ودفترداروں (راجع: إيليا طاباغوا. جورجيا فى الأرشيفات ومخازن الكتب الأروبية. الكتاب الأول. القرون الثالث عشر-السادس عشر. تبيليسى. ١٩٨٤.ص ١١٣-١٣٤. (باللغة الجورجية). فى العام ١٥٧٨ عُيّن فى سوخومى بكلربكى شركسى الأصل هيدار باشا. فى نفس الوقت بدأ الأتراك يبنون فى سوخومى قلعة استخدموا خلال عملية بنائها أنقاض حصان الأزمنة الكلاسيكية. فى السنة ١٥٨١ ترك العثمانيون سوخومى ولكنهم سلموا المدينة لنبلاء الأبخاز شارفاشيدزه.

جدير الملاحظة أن تدريجيا حصل استبدال تسمية هذه المدينة التاريخية الجورجية تسخومى ببديلها العربي التركي سوخومى. وتُذكر المدينة بهذا الاسم الجديد – سوخومى كما رأينا أعلاه عند أبى الفداء فى بداية القرن السادس عشر. اتبداء من القرنين الخامس عشر-السادس عشر تنتشر هذه التسمية الجديدة. ويلاحظ الخبراء أن اللغة التركية لا تقبل حرفين ساكنين فى بداية الكلمة. وزيادة على ذلك فلا يوجد فى التركية الحرف الصامت الوقوف الاحتكاكى «تس» الأمر الذى سبب فى استبدال التسمية الجورجية تسخومى بالتركية سوخومى. فى خريطة واردة فى «جيهان نوما» لكاتب جلبى تعرف المدينة كـ سخومى (راجع الملحق ٥.٣) وتنتشر هذه التسمية المتغيرة ابتداء من القرن التاسع عشر

فى الجورجية والروسية أيضا نهائيا.

تمكن فى أواخر القرن السادس عشر حكماء مجريليا سلالة داديانى من السيطرة على أبخازيا مجددا. وتولى الحكم الكامل على المحافظة النبيل ليفان الثانى داديانى (١٦١١-١٦٥٧). فى الفترة ما بين ١٦٦٩-١٧٠٧ بطريرك القدس دوسيتيوس الذى قد زار جورجيا قبل ذلك مرارا وأتقن اللغة الجورجية واللغة العربية، يحكى عن أبخازيا أزمنة ليفان إذ يلاحظ أن ليفان الذى حكم هناك لمدة طويلة بعد السنة ألف وستمائة عمّد ٤٠ ألف أبخازيا وعين لهم أسقفا (М. Селезнев. Руководство к познанию Кавказа, кн. I. Санкт-Петербург, 1947, с. 28).

تدل ضرورة تعميد كمية كبيرة من سكان المنطقة المتغطية بالمعابد المسيحية، على التغيرات فى الوضع الديموغرافى.

فى فترة حكم ليفان الثانى داديانى استرجع جثالقة جورجيا مقر تيبشفيتنا. حسب معلومات المبشر جوفانى لوقا، فى النسة ١٦٢٩ عبد الكهان الجورجيون فى المعبد الكاثيدرالى فى بيتشفينتا باللغة الجورجية. ويلاحظ المبشر أيضا أن لأبخازيا حاكمين، وهناك مدن ولكن السكان منتشرون أكثر فى الأرياف أو سواحل البحر. وطريقة معيشتهم نفس الطريقة مثل الشركسية. والأبخاز ليست لهم قوانين مكتوبة وليست لهم الكتابة. والأبخاز مسيحيون ولكنهم لا يلتزمون بطقوس العبادة المسيحية (إيليا طاباغوا. جورجيا فى الأرشيفات ومخازن الكتب الأروبية. المجلد الثالث. بتيليسى، ١٩٨٦. ص ١٥٥-١٧١ (باللغة الجورجية). وذلك هو الوضع فى الأرض حيث كانت المسيحية منتشرة منذ أواخر الأزمنة الكلاسيكية ووجدت الثقافة المسيحية الراقية والكتابة والأدب مثلما نتأكد فى الجزء الثانى من هذا الكتاب. أما بيانات جوفانى لوقا فهى تؤكد أن فى أعقاب التغيرات الدموغرافية، تحولت المنطقة

الجورجية المسيحية المتقدمة ثقافيا واقتصاديا إلى ناحية متخلفة قطنها الجبليون الوثنيون.

يزودنا بمعلومات ممتعة عن جورجيا أواسط القرن السابع عشر رحال وكاتب وجوغرافى ومؤرخ تركى أوليا جلبى (١٦١١-١٦٨٣) وهذه المعلومات مركّزة فى المجلد الثانى لـ «كتاب الترحال» له الذى يحتوى على عشرة مجلدات (كتاب ترحال لأوليا جلبى، المجلد الثانى. ترجم من التركية وزوده بالتعليقات والبحث ج. فوتوريدزه. الجزء الأول. تبيليسى، ١٩٧١.ص ٩٥-١٠٩). تجول أوليا جلبى فى مناطق ساحلية الشرقية للبحر الأسود فى سنة ١٦٤١. ورأى أول قبيلة أبازية تسميته تشاتشى فى ليخنى المعاصرة – قرب مقر شارفاشيدزه (تشاتش) فقط. وتكلم هذا الناس بين بعضهم البعض بلهجة مجرلية للغة الجورجية وتباينوا فى دينهم. واضح أن قبيلة تشاتش فى زمان أوليا جلبى تكون من سكان أبازيين (أفسوا) الذين اختلفوا بحيث لغات وأديان. زار الرحال التركى فى الشمال الغرب من قبيلة تشاتش قبيلة أرلان. وفى الشمال الغربى منهم، عند مدينة جاجرا الحالية، لقى قبيلة تشاند. ويعتبر اوليا جلبى سكان هذه القبيلة أهلا أبازيًا أى حسب المفاهيم المعاصرة، أفسوا. يحكى الرحال التركى عن القبائل الأبازية الأخرى الذين انتشروا حتى نهر عوبان فى أراضى روسيا المعاصرة (وكانت هناك أيضا قبائل جبلية أبازية). رأى أوليا جلبى فى المنطقة كلها مسجدا واحدا فى قرية أطْمَة لقبيلة أشْجيل ويكتب أن أهل الأباز لا يعرفون القرآن وليس لهم دينية ما معينة ولكن مع ذلك هم لا يحبون كافرين – غير المسلمين، ويحترمون ويحبون المسلمين. وخير لهم إن أسلموا وأصبحوا من أهل التوحيد. عند وصف ميناء أنابا يلاحظ أوليا جلبي أن فى حالة تجديد القلعة وتزويدها بالسلاح لكان من السهل إطاعة أباز وشركس.

الواقع الذى شهده الرحال والعالم التركى وملاحظاته المدونة فى أثر ذلك، مصدر أصيل وثيق يطعينا إمكانية استنتاجات مهمة. يبدو من بيانات أوليا جلبى أن لأى قبيلة أبازية-أفسوا لم تكن علاقة بالأبخاز وأبخازيا المعروفة بالثقافة الراقية (راجع الجزء الثانى من هذا الكتاب). تفضّح هذه البيانات المنفصلين الذين يجهدون فى تزوير التاريخ إذ يعلنون بمثابة واضعي الثقافة القديمة المسيحية ليس الجورجيين بل أباز-أفسوا الموصوفين من قبل أوليا جلبى. يدّعى المنفصلون أن المسيحية دمرت فى أبخازيا من قبل الأتراك وأن الأتراك هم من طرح على الجورجيين دين الإسلام فى تلك الأراضى، غير أنه فى الحقيقة أبازا-أفسوا الذين استوطنوا أبخازيا هم من دمر الآثار المسيحية. إن بيانات أوليا جلبي ترفض تلك الادعاءات. شهد أوليا جلبى فى سواحل الشمالية الغربية للبحر الأسود مسجدا واحدا فقط وذلك فى مساحة روسيا المعاصرة وليس جورجيا أما السكان فهم لم يعرفوا القرآن وكانوا لا يؤمنون بدين ما. ونعرف من نفس البيانات أن تركيا لم تتحكم فى أباز وشركس وبالتالى لم يكن لها أن تنشر فى هؤلاء الناس دين الإسلام ما يزعم المنفصلون دون إسناد معتمد.

ضرورى أن نلاحظ أيضا أن الجورجيين والمصادر التاريخية الجورجية دعوا أبازا-أفسوا حسب تسمية مكان استوطانهم الجديد ٢٦ بـ أبخاز منذ اسنوطانهم. وجدير بالملاحظة أن المصادر التركية الباكرة تدعو الأبخاز وأبخازيا بمصطلح Apkaz (راجع مثلا: "Dede kurqud Hikaueleri"، «نصرت نامیه» لمصطفى على الخ). فى اللغة التركية الرسمية من بداية القرن السادس عشر يستبدل المصطلح أبخار بـ أبازا الأمر الذى يلاحظه بوضوح مؤلف إضافة إلى «جيهان نوما» أبو بكر (القرن الثامن عشر). بقول عالمة الدراسات التركية تسيسانا أبولادزه، إن لكرونولوجيا

مصطلح أبخاز/أبازا له وظيفة وثيقة مستند لتاريخ استوطان الأراضى الجورجية من قبل قوم أصل أديغى-شركسى (تسيسانا أبولادزه. تسميات جورجيا وتكويناتها السياسية فى المصادر العثمانية الكتابية. فى الكتاب: المصطلحات الجورجية والأجنبية للتعبير عن جورجيا والجورجيين. تبيليسى، ١٩٩٣. ص ٢٧٤-٢٧٥ (باللغة الجورجية).

حسب المعلومات المتناولة، إن المصطلح لرموز إثنية «أبازا» وارد فى الأدب العربى منذ القرن الخامس عشر عند المؤرخ المصرى بدر الدين العينى (توفى فى ١٤٥١). يختص عمله بالسلطان المملوك من السلالة الشركسية المعيد سيف الدين شيخ (١٤١٢-١٤٢١). يعتبر المؤلف الشعوب القوقاسية وبينهم أبازا كذلك، قوما ذا نفس الأصل الأبازى الذين تكلموا بلهجة سكاغوا (أشخاروا)، وجـ.غا أى الجيك (راجع: جوتشا جافاريدزه. البحوث... ص٢٣-٢٤). مهم أن أباز المذكورون من قبل العينى سكنوا خارج أراضى أبخازيا المعاصرة – فى القوقاس الشمالية. كما نرى فيما بعد، هم استوطنوا أرض أبخازيا لاحقا. ويعرف الأبخاز الحاليون طبعا عن أصولهم القوقاسية الشمالية، هم مطّلعون أنهم من أصل أفسوا-أباز ودليل على ذلك قانونهم المعمول به من قبل ما يسمى بحكومة أبخازيا منذ السنة ٢٠٠٥ والذى يختص بالجنسية. وارد فى البند الخامس لهذا القانون أن مواطني أبخازيا فى المقام الأول هم «شخصيات من أصل أبخاز-أبازا».

وهناك عديد من المصادر الجورجية والأجنبية تعطينا نظرا واضحا عن أبخازيا والأبخاز التأريخيين وبينها المصادر الروسية أيضا. حاولت المحافظات الجورجية والتى تكونت بعد تفكك البلد المتحد كوحدات سياسية تتمتع بنوع من الانفراد عن

بعضها البعض، فى القرنين السادس عش-السابع عشر أن يعقدوا العلاقات الودية مع روسيا ولكن دون جدوى. استقبل فى العام ١٦٣٨ فى ١٢ من ديسيمبر، ملك روسيا ميخائيل ابن تيودور فى موسكو سفير إحدى المحافظات الجورجية – مجريليا، وفي فترة ما بين نوفمبر ١٦٣٩ إلى مايو ١٦٤٠ زار السفراء الروسيون مجريليا. التقريرات كونها هؤلاء السفراء ترسم لنا صورة واضحة للوضع الإثني-السياسى فى أراضى أبخازيا الحالية إذ تؤكد أن فى أواسط القرن السابع عشر امتدت حدود المحافظة المجرلية على الأقل حتى نهر قيلاسورى، ما يبدو من أن السفراء الروسيين زاروا معبدا كاثيدراليا قرب دراند وكان ذلك فى حدود مجريليا. وكانت سيطرة سلالة داديانى تنتشر فى مساحة أبخازيا بأجمعها. يتأكد ذلك من بيانات سفير موفد إلى موسكو جبرائيل جيجينافا أن جاثليق مجريليا وجورجيا الغربية كلها كان مقره فى بيتشفينتا وكان النبيل ليون الثانى داديانى من يعاونه. لا تذكر مواد السفراء أفسوا-الأبخاز رغم أن السفراء تجولوا فى مجريليا كلها وزاروا مناطق جالى وأوتشامتشيري وجولريبشى (التى تدخل حدود أبخازيا). ملك روسيا ميخائيل ابن تيودور فى أوراق الاعتماد دعا محافظة مجريليا كبلد إيفيريا (أى جورجيا). وفى الوثيقة بعثها ليون الثانى داديانى إلى روسيا وارد أن هذا النبيل يعيش فى محافظة مجريليا لبلد إيفيريا

(Материалы посольств Гавриила Гегенава, Федота Елчина и Павла Захарьева. 1636-1640 годы. Для издания подготовил, исследованием, комментариями, словарем, указателями и календарем снабдил Джемал Гамахария. Тбилиси, 2014, с. 190-218, 360-367, 392-394, 416-418, 441-447).

بالتالى، فإن أرض أبخازيا الحالية عرفته روسيا كجزء بلد إيفيريا أى جورجيا.

تؤكد بيانات السفراء الروسيين مصادر أخرى مثلا العربية. تصف الأدب العربى الوضع الإثني السياسي والديني فى أبخازيا فى خمسينات وستينات للقرن السابع عشر وواضعاها البطريرك الانطاكى فيما بين ١٦٤٧-١٦٧٢ مكاريوس الثالث ابن الزعيم الحلبى الأنطاكى وابنه المتوفى فى تبيليسى فى العام ١٦٦٩رئيس القندلفتية بولس ابن مكاريوس الزعيم الحلبى. ومعروف أن رئيس القندلفتية بولس تكلم اللغة الجورجية إلى درجة ما، وتعلمها قبل وصوله إلى جورجيا ما يتأكد بالآتى: عند زيارته روسيا فى يناير ١٩-٢٠ للسنة ١٦٥٦ حضر مكاريوس الثالث ورئيس القندلفتية بولس بالدعوة الشخصية من قبل الملك أليكسى ابن ميخائيل (١٦٥٤-١٦٧٦) طقسا دينيا فى معبد سطوروچيفسكى قرب موسكو. فتعجب الملك من أن ورئيس القندلفتية بولس أتقن قراءة الكتاب المقدس والصلوات المسيحية باللغات العربية واليونانية والروسية والجورجية. يخبرنا عن ذلك رئيس القندلفتية بولس بعينه كما يخبرنا أنه تعلم الجورجية منذ زمان

(Архидиакон Павел Алеппский. Путешествие Антиохииского Патриарха в Россию в половине XVII века, выпуск IV, книга XII, глава II).

زار مكاريوس الثالث ورئيس القندلفتية بولس للمرة الأولى مدينة تبيليسى فى ١٦٦٤-١٦٦٦، ثم فى ١٦٦٦مسافرين إلى روسيا ثم عادا إلى جورجيا فى يناير ١٦٦٩. توفى رئيس القندلفتية بولس فى نفس السنة فى تبيليسى فى عمره ٣٢ عاما، أما مكاريوس الثالث فهو مكث هنا لمدة نصف عام حيث ألف عمله عن جورجيا باللغة العربية.

حسب تسجيلات رئيس القندلفتية بولس، بلدات بيديا وموكفى وإيلورى ودراندا أى مساحة أبخازيا الحالية حتى مدينة سوخومى كانت فى أواسط القرن السابع عشر أراضيا جورجية تابعة من

الناحية الكنائسية والإدارية للمحافظة المجريلية. أما سوخومى والمناطق الواقعة فى الشمال الغرب منها فقطنها عندئذ الأبخاز ولكنهم ليسوا الأبخاز الجورجيون بل أباز الوثنيون المهاجرون من القوقاس الشمالي إلى هنا. يذكرهم رئيس القندلفتية بولس ككافرين ويضيف أن من أجل استوطانهم هذه الأراضى أضطر جاثليق جورجيا الغربية أن ينقل مقره من بيتشفينتا إلى جيلاتى – عاصمة منطقة إيميريتى (راجع: مواد لتاريخ جورجيا فى القرن السابع عشر. وصف جورجيا الذى كونه بولس الحلبى. جهز النص للنشر وزوده بالبحث والتعليقات ن. أساتيانى. تبيليسى، ١٩٧٣. ص٧١، ٧٢، ٨٣، ٨٤).

حسب عمل للبطريرك مكاريوس للسنة ١٦٦٩ أيضا، المساحة حتى دراند دخلت كنائسيا وإداريا وعرقيا محافظة مجريليا. يلاحظ مكاريوس عند وصفه العيوب المنتشرة هناك أن امرأة غنية قاطنة دراندا التى تزوجت سبع مرات من أبناء أعمامها، هربت خوفا منه (البطريرك) إلى أبخازيا. يعنى لم يكن وقتئذ قط دراندا التى تقع قرب سوخومى مختلسة من قبل البجليين. تعجب البطريرك الأنطاكى من زيارة المقدسات فى بيديا وموكفى ودراندا (راجع: مكاريوس الانطاكى عن جورجيا. – مجلة أرمغان. نماذج الأدب الشرقى. كون المجلة ماجالى تودوا. تبيليسى، ١٩٨٢. ص١٠٢-١٠٥، ١١١ (باللغة الجورجية).

تشير بيانات رئيس القندلفتية بولس والبطريرك مكاريوس إلى أن الحد الإدارى لأبخازيا وقع شمالا من دراندا قرب نهر قيلاسورى عند مدينة سوخومى حيث وجدت القلعة بناها الحكام المجريليون تسمى سور قيلاسورى وكانت نشيطة حتى سبعينات القرن السابع عشر. الان أصبحت هذه القلعة حدا جديدا بين أرضي المجرال والأبخاز. يذكر المبشرين الكاثوليكيين اركانجيلو

لامبيرتى وكريستوفيرو كاستيلى «سور قيلاسورى» فى الجزء الأول للقرن السابع عشر فى خرائطهما التى مزودة بالملاحظات الآتية: سور طول ستين ألف خطوة للدفاع من هجوم أباز» (راجع الملحق – ٥.٣). قلعة سور قيلاسورى واردة فى خريطة القوقاس التوركية فى عمل كاتب جلبى «جيهان نوما» (راجع الملحق – ٧.٣). عرف مؤلف إضافة لاحقة للعمل أبو بكر أن أفسوا-أباز امتدوا حينئذ حتى نهر إنجورى وعلاوة على ذلك، إنه يلاحظ أن حدود أبازا كانت قبل ذلك لا تجتاز الأرض من سوتشى إلى نهر قيلاسورى وسوخومى (معلومات كاتب جلبي عن جورجيا والجورجيين. ترجمت من التركية، وزودت بالمقدمة والفهارس والملاحظات جيولى الاسانيا. تبيليسى، ١٩٧٨. ص ٥٨، ١٣٢-١٣٣).

دعا الجورجيون مثلما سبق الذكر، أفسوا-اباز بـ أبخاز حسب تسمية مكان استوطانهم. برئاسة النبلاء الجورجيين أبناء شارفاشيدزه هم هجموا مرارا على أرض مجريليا فى محولات توسيع الحدود ونيل الاستقلال من النبيل. ولكن فى نفس الوقت، اعترف حكام ابخازيا أنهم تحت حكم دولة جورجيا وخضعوا الملوك الجورجيين دون أى معارضة. مثلا فى السنة ١٦٦١ عندما تمكن الملك فاخطانج الخامس (شاهنفاز) أن يستولى مؤقتا الجزء الغربى للبلد، أعلن الحكام الأبخاز عن طاعتهم الكاملة له. وأعلنوا خاضعين أوامر الملك، وأولية نبلاء مجريليا أيضا.

ثم تغيرت الأوضاع فى البلد. لم تعد جورجيا متحدة بعد تجزيئها بين العثمانيين وإيران فى السنة ١٥٥٥ ومع ذلك أصبحت الحروب الداخلية أكثر حدة. يعتبر التاريخ الجورجي أن مجريليا دفعت ثمنا غاليا مقابل استقبالها السفراء الروسيين وسعيها إلى روسيا، ومعاوناتها المتكررة للكازاك الروسيين الذين اعتدوا ضد

تركيا. دعمت تركيا فى محاولتها فصل مجريليا عن روسيا معارك القوقاسيين الجبليين ضد مجريليا. واعتمد شارفاشيدزه – نبلاء أبخازيا على نفس القوقاسيين الجبليين فى أزمتهم نحو داديانى. نجح فى ثمانينات القرن السابع عشر فى حرب نشبت من أجل عرش أبخازيا النبيل ساواريخ (سوريك) شارفاشيدزه بمساعدة نفس القوقاسيين الجبليين. واستولى على المساحة حتى نهر اِنجورى وحكمها لمدة معينة بعنوان نبيل مجريليا. ولأن سواريخ شارفاشيدزه لم يتمكن من أخذ أراضى أبخازيا الباقية، أُعلنت الأراضى الواقعة حتى نهر اِنجورى كجزء أبخازيا. هلك الحكماء الجدد للأرض المحتلة فى المقام الأول ممثلي النبلاء الجورجيين والكهنوتية المخلصين لسلالة داديانى، كما اعتدوا على السكان وعبدوا جزءا كبيرا منهم أما الباقى فاضطروا إلى أن يغادروا لاجئين. أما الأراضى المحتلة فشملها أباز وعاباردو والجبليون الآخرون، دمروا أو قفلوا الكنائس والأديار التى عملت لمدة قرون بعيدة قبل ذلك. وهنا من الممكن أن نذكر المراكز الثقافية والدينية المهمة لجورجيا كلها مثل الكنيسة الكاثيدرالية لجاثليق بيتشفينتا، والكاثيدراليات لدراندا وموكفى، وكنائس ليخنى وأنوخفى، وتسيبيلى، وكياتشى، وطشالا (طشلو)، وتيليتى الخ والتى كانت تحتفظ على النقوش والمكتوبات الجورجية العريقة. وفقط فى نطاق قصير لنهرى اِنجورى وغاليدزجى الذى استرجعته سلالة داديانى فى القرن الثامن عشر، حُفظ معبدان فى اِلُورى وبيديا.

معروف للعالم واقع الاستوطان المتأخر لافسوا-أباز فى منطقة أبخازيا، رغم أن المنفصلين لا يقبلونه فإن فى أعمال العلماء الجورجيين والأروبيين للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر هذه الحقيقة ملحوظة (راجع أعمال فاخوشطى باجراطيونى، ود. باكرادزه، أ. خاخاناشفيلي، و و.ن. طاطيشيف، أ. ن. دياتشكوف-

طاراسوف، وأ. قورايف الخ).

علينا أن نلاحظ بادئ ذى البدء أن هناك أرائى مختلفة عن أصول الأبخاز الحاليين أى أفسوا-أباز. من هذه وجهة النظر، إن أرائى كاتب جلبى المذكور أعلاه تكون جاذبة الاهتمام. برأيه إن أباز أصولهم عبرية، وأما أسلافهم المباشرون فهم سكان مدينة اسطراخان (معلومات كاتب جلبي عن جورجيا والجورجيين. ترجمت من التركية، وزودت بالمقدمة والفهارس والملاحظات جيولى الاسانيا. تبيليسى، ١٩٧٣. ص١٣٢-١٣٣). قصد المؤرخ التركى بـ العبرى خازار اليهوديين وليس العبريين بعينهم. كانت اليهودية منتشرة واسعا بين خازار الاسطراخانيين. يتوافق ذلك الرأى مع بيانات مؤلف القرن الأول الميلادى بلينيوس الأكبر المذكورة أعلاه عن قبيلة أبزوا الساكنة فى سواحل نهر فولجا شمالا من بحر القزوين (حيث تقع مدينة اسطراخان). حسب المعلومات الخرائطية للقرن السادس عشر، يبدو أسلاف أفسوا-اباز عند نهر عوبان. الأمر الذى يتأكد فى الكتاب المشهور «التدوينات عن موسكو» للدبلوماسى الألمانى المشهور سيجيزموند جربرشطاين (١٤٨٦-١٥٦٦) الذى زار روسيا بالواجب الخاص عدة مرات. وهو يكتب أن محاذيا لنهر عوبان يسكن قوم Aphgasi، أما جنوبا من النهر فوقعت مجريليا

(Герберштейн. Записки о Московии. Москва, 1988, с. 181).

العالم الخرائطى جاكوبو جاسطالدى حدد فى خريطته المكونة فى العام ١٥٦١ فى وسط نهر عوبان قوم Abcvas regi الذين كانت المدينة الرئيسية لهم Acua (راجع الملحق ٤.٣). جلب معهم قوم أفسوا-أباز الذين استوطنوا أبخازيا لاحقا تسميتهم وسموا المدينة الرئيسية تسخمى/سوخومى بهذه التسمية.

ذكر كثير من المؤلفين واقع استوطان الجبليين أراضى أبخازيا

الحالية. وأكده المؤرخ الروسى البارز طاطيشيف (١٦٨٦-١٧٥٠) وأعماله معترف بها فى مقام المصادر فى علم التاريخ الروسى. وكتب طاطيشيف أن أبخازيا (أفخيتى) هى الجزء الشمالى من مجريليا الذى سماه الاتراك وعاباردو كـ أفخازوس، أما أسلافنا فسموه أُبيز والان يستوطن معظم مساحتها العوبانيون (В.Н. Татищев. История Российская, т. I. Москва-Ленинград, 1962, с. 171).

حسب تفسيره، أوبيز هم سكان مجريليا الشمالية (أبخازيا) وهم الجورجيون. «إيفيري يعنى أوبيز» كما يقول المصدر الروسى (Полное собрание русских летописей, т. VI. Санкт-Петербург, 1853, с. 125, 152; Г. Пайчадзе. Название Грузии в русских письменных исторических источниках. Тбилиси, 1989, с. 13-21, 51-56).

أما العوبانيون الذين هاجروا إلى أبخازيا فى أواخر القرون الوسطى، فهم حسب المصدر الروسى ممثلو قبائل شركسية-أديغية. كما رأينا، فإن فى القرن السادس عشر هم يسكنون فى سواحل نهر عوبان بالتأكيد.

كتب مؤرخ روسى آخر مشهور دياتشكوف-طاراسوف فى السنة ١٩٠٥: «الأبخاز لم يسكنوا فى هذه الأراضى دائما. أبدا. تؤكد أساطيرهم وعاداتهم ومعلومات تأريخية عديدة أنهم جأوا إلى هنا من الشمال وضايقوا القبائل الجورجية حتى توقفوا عند نهر إنجورى». كتب دياتشكوف-طاراسوف عن هجرة أفسوا-أبخاز من الشمال لما لاحظ أن هذه الهجرة حدثت قبل فترة قصيرة، ربما فى القرنين السادس عشر-السابع عشر

(А.Н. Дъячков-Тарасов. Гагры и его окрестности. Тифлис, 1903, с. 36-37; А.Н. Дъячков-Тарасов. Бзыбская Абхазия. – В кн.: Известия Кавказского Отделения Русского Географического Общества (ИКОРГО), т. XVII. Тифлис, 1905, с. 85; А.Н. Дъячков-Тарасов. Абхазия и Сухум в XIX столетии. – ИКОРГО, т. XX. Тифлис, 1909-1910, с. 152, 210).

يبدو الافتراض صحيحا ويعترف به العالم الروسى أندريا

كورايف الذى عمل فى أبخازيا كمبشر وفى نفس الوقت درس تاريخ المنطقة. ورفع فى تقريره لمؤتمر فى ٢٦ يونيو ٢٠١٣ قضية مهمة جدا: ما علاقة لمن نسميهم الأبخاز حاليا بأبخازيا؟ واقع أن فى هذه المنطقة حفظت المعابد المسيحية الارثوذوكسية الرائعة، وواقع أن هناك وجدت مملكة أبخازيا المسيحية الأرثوذوكسية والكنيسة الأرثوذوكسية المسيحية. كل ذلك وقائع لا شك فيها. الآن أمامنا سؤال، - يواصل كورايف، - ما علاقة لمن يعيش هناك بكل ذلك؟ عجيب أن هؤلاء الناس يدعو أنفسهم أبسوا، أما بلادهم فيدعونها أبسنى وليس أبخازيا. أما الكلمة أبخازيا فهى كلمة جورجية، يعنى هم من سمى أنفسهم سابقا كأبخاز كانوا جزءا من الأصل الجورجى مثل المجرال أو أى ناس جورجى آخر. هَيّا نقول أن هذا رأى الجورجيين والعلماء الجورجيين. هم يعتبرون أن ذلك القوم الأبخاز المسيحيين الأصليين الذين أبادهم الأتراك وطردوهم من هناك فى القرنين السادس عشر-السابع عشر. اختفى جزء منهم وجزؤهم هربوا لاجئين إلى الشرق، إلى جبال جورجيا العالية. أما فى السواحل الفاضية فأسكنت فيها الحكومة التركية شركس الجبليين وقالت لهم: عشوا من الآن هنا. هذا يعنى أن سكان أبخازيا الحاليين ليسوا قاطنين لهذه الأراضى منذ زمان بعيد. ولكن يسرهم أن يتظاهروا أنهم بعينهم بانون لهذه الكنائس ووريثوها، ومثلا مثلما ينبسط فالاخ بأنهم وريثو الرومانيين القدماء إذ يسمون أنفسهم الرومانيين والروميين والرومان أي أبناء القوم العريق. ولكن ما علاقة داق بالروما – العلاقة بعيدة بعيدة جدا. ولكن الرومانيين يعترفون بصراحة أن عندهم عبادة الامبيراطور تراجان. لماذا؟ لأنه هو من فتح الداق. وها هي عجائب التاريخ: يعنى، هم يعبدون فاتحهم لأنه هو من قربهم من الحضارة الأروبية عندما كانوا بربريين. فى أبخازيا

وضع مناهض تماما. لم يهزم الأبخاز الحاليون الأبخاز الأصليين. حصل هذا الاستوطان بطريقة ما دون اجتهادهم. ولكنهم احتلوا الأراضى وحتى اسمهم استولوا عليه جزئيا، ولكن ليس لأنفسهم بل للسياح! هم لا يسمون أنفسهم بـ أبخاز. هم يسمون أنفسهم بأبخاز فقط باللغة الروسية وأمام الأجانب، أو عندما يتكلمون عن تاريخ الآخرين. إذا نويت أن أحكى هذا للأبخاز هم سيغضبون منى وسيدعوننى جاسوس الجورجيين»
(http://www.youtube.com/watch?v=yjtMXbsPgH4).

رأى أندريا كورايف عن تأريخ أبخازيا صواب بعينه وهو معتمد على التقارير الوثيقة للعلماء الجورجيين والروسيين والأروبيين للأجيال المختلفة.

الأبخاز وأبخازيا عرفهم جيدا العالم الألمانى بيطرو-سيميون بالاس (١٧٤١-١٨١١) الذى كان عضوا لأكاديمية العلوم لبيتسبورج، فتجول فى قوقاسيا فى فترة ما بين ١٧٩٣-٩٤ ونشر كتابا عن هذه الرحلة فى باريس فى السنة ١٨١١. يذكر المؤلف الأبخاز باسم «أبسنى» ويكتب عنهم: «هؤلاء الناس كما يبدو من الأصول القوقاسية الشمالية الغربية»
(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии. Тбилиси, 1997, стр.285).

كتب عن أصول الأبخاز العالم والرحال الألمانى هاينريخ يوليوس قلابروت (١٧٨٣-١٨٣٥) الذى صدر عدة أعمال عن رحلته فى قوقاسيا وجورجيا فى ١٨٠٧-١٨٠٨ باللغتين الألمانية والفرنسية. ويعتمد على الأرائ الشائعة بين العلماء عن الأبخاز (أبسنى) إذ يكتب أن هناك من يري أنهم أصليون للقوقاسية الشمالية-الغربية وانتشروا فى المناطق الآخرى فيما بعد
(Klaproth Y. Reise in den Kaukasus und nach Georgienunternomenin den iahren 1807 und 1808. Hale und Berlin, 1812, p. 447).

وكرر نفس الافتراض قلابروت فى كتابه الناشر فى ١٨٢٣ فى الباريس

(Voyage ou montdu Kaukaseet en Georgie par M. Jules Klaproth, I. Paris, 1823, p. 201).

أما فى الكتاب الناشر فى السنة ١٨٢٧ فلاحظ بوضوح أكثر أن أفسوا-أباز عاشوا لمدة زمن بعيد فى الجزء الشمالى الغربى للقوقاس

(Tableau historique, geographique, etnogrophes entre la Russe et la Perse. Par M. Klaproth. Paris, 1827, p. 83).

استنتج العالم السويسرى فرنساوى الأصل وعضو أكاديمية العلوم لباريس، ديوبوا دى مونبرى الذى زار أبخازيا فى رحلته للقوقاس فى السنة ١٨٣٣ استنتاجات صحيحة. فى عمله الأساسى الذى نشره فى ١٨٣٩ لاحظ فريديريك ديوبوا دى مونبرى أن المحافظة المجريلية لجورجيا التى حكموها داديانى امتدت محاذى سواحل البحر الأسود حتى جيكيتى تقريبا وأن مجريليا كانت تحت الهجومات المطردة من قبل الأعداء وأن هذه السواحل الرائعة راقبتها من ناحية يد دموية للشركس، ومن الناحية الأخرى يد دموية للأتراك. وأن داديانى اضطروا إلى أن يتراجعوا حتى أناقوفيا منذ قرنين، أما الآن فهم تراجعوا مجددا إلى نهر غاليدزجا، وأبخازيا – هذا البلد المسكين أصبحت بريا مثل غابات أمريكا: تحول كل شىء إلى أنقاض، وانهدمت الكنائس، ومحيت آثار الحضارة

(Фредерик Дюбуа де Монпере. Путешествие вокруг Кавказа, т. I. Перевод с французского Н.А. Данкевич-Пущиной. Сухуми, 1937, с. 149)

ويؤكد فريديريك ديوبوا دى مونبرى الواقع الأكيد لهجرة أفسوا إلى جورجيا فى القرنين السادس عشر-الشابع عشر. كما نرى، رغم ادعاء المنفصلين، فإن أفسوا-أبخاز هم ليسوا منشئي الحضارة المسيحية التى ترجع إلى قرون بعيدة، وليسوا حتى من

اشترك جزئيا فى إنشائها، بل هم من دمروها. وليس لادعاءات أن الأتراك من فعل ذلك براهين معتمدة. ويتأكد أن أفسوا-أباز ليسوا منشئي هذه الحضارة المسيحية حتى ولو بأنه تغيب فى لغتهم مصطلحات مسيحية (وبينها كلمات أساسية مثل: مسيح، ومسيحى، وقسيس، وصليب، والميلاد، والفصح، والتعميد الخ). كل هذه الكلمات فى اللغة الأبخازية مستعارة من اللغة الجورجية (Essays from the History of Georgia. Abkazia. Tbilisi, 2011, p.216 – 251).

كتب إدموند سبينسير فى العام ١٨٥١ عن الأبخاز: هم جزئيا نجل القرم (عاباردو) وخانات عوبان والسلاطنة الذين استوطنوا هذه الأماكن مع قومهم (بيانات قوخ وسبينسير عن جورجيا وقوقاسيا. ترجم من الألمانية وزود بمقدمة والتعليقات ل. ماماتساشفيلي. تبيليسى، ١٩٨١. ص ١٣٥). فبالتالى إن واقع هجرة الجبليين القوقاسيين وبالتحديد – هجرة أبسوا-أباز إلى مساحة أبخازيا الحالية فى القرنين السادس-عشر السابع عشر حقيقة معترفة بها واسعا.

١.٢ أبخازيا والأبخاز فى العصر الجديد

بعد استوطان أفسوا أراضى أبخازيا، تغير الوضع التدينى للسكان – اختلط المسيحية بالوثنية ما أضيف فيما بعد بالإسلام، رغم أن التقاليد والعادات فى أغلبية الأحوال بقيت جورجية. رغم التغيرات الديموغرافية بقى فى مثابة حكام أبخازيا النبلاء الجورجيون من سلالة شارفاشيدزه. هم لم يكونوا منفصلين عن العالم الجورجى أبدا، ولم يرفضوا اللغة الجورجية التى بقيت فى أبخازيا لغة وحيدة للقضاء الرسمية والعبادة. واعتبر الملوك

الجورجيون الغربيون (إميريتي) أبخازيا محافظة لهم ما يوصف فى الخرائط والمصادر الكتابية. إن ملك إيميريتى سلمون الأول (١٧٥٢- ١٧٨٤) حمل اللقب ملك الأبخاز. فى إحدى الرسائل المؤرخة بـإبريل ٢٦ العام ١٧٧٦ يمسى الملك نفسه «حاكم الأبخاز والإيميريين والجوريين وإفيريا التحتانية كلها»

(Д. Гамахария, Б. Гогия. Абхазия – историческая область Грузии. Тбилиси, 1997, с. 649).

كما تأكدنا فيما سبق، إن إيبيرا التحتانية تعنى جورجيا الغربية وضمنها مدينة تسخومى وأبخازيا كلها. رؤساء مجريليا (إوديشى) الذين فقدوا وقتئذ السيطرة الواقعية على أبخازيا، لم يتركوا محاولات لإستعادة أراضيهم الأصلية. سموهم واليين لإوديشى، وليتشخومى، وأبخازيا. هذا كان لقبا يحمله حكام مجريليا كاتسيا الثانى داديانى (١٧٥٨-١٧٨٨)، وجريجول داديانى (١٧٨٨-١٨٠٤) وغيرهم

(Д. Гамахария, Б. Гогия. Абхазия – историческая область Грузии. Тбилиси, 1997, с. 287, 650).

منذ أوائل القرن الثامن عشر رجعت المساحة ما بين نهري إنجورى وغاليدزجا إلى حدود مجريليا، وسمى بعد قليل حسب اسم أحد حكمائه – مورزاعان شارفاشيدزه – باسم جورجي سامورزاعانو (أى أرض مورزاعان).

أصبح تأثير تركيا على سامورزاعانو يزداد من نهاية القرن السابع عشر وعامة، كان موقف تركيا قويا فى جورجيا الغربية. ضعف تأثير تركيا نسبيا بعد فقدانهم قلعة أزوف وظهور البحرية الروسية. وأصبحت هذه الظاهرة منطلقا للحركة التحررية الضدتركية فى القرن الثامن عشر. تنشط خاصة حكماء مجريليا وأبخازيا. هم هجموا على الأتراك العثمانيين المحصنين فى قلعتي روخ وأناقليا. ونوى الأتراك اتخاذ قرارات حاسمة، ولكنهم

تراجعوا بعد تغيير السلطة فى اسطنبول فى أعقاب الانتفاضة العسكرية فى السنة ١٧٠٣. أما الحكماء المجريليون والأبخاز فهم واصلوا فى هجوماتهم على حارسى القلاع الأتراك.

يوفرنا بمعلومات ممتعة عن هذه الفترة المؤرخ العثمانى للثلث الأول للقرن الثامن عشر محمد رشيد إذ يكتب «يرفض المنتفضون الجورجيون من مجريليا وجوريا وأبازا فى الأواخر دفع جزْية « (معلومات محمد رشيد عن جورجيا وبعض البلاد المجاورة. نشر النص التركى وزوده بالترجمة الجورجية والبحث والتعليقات ف. تشوتشيف. تبيليسى، ١٩٧٦. ص٣٥/٢١). فى هذا الحال تجذب الاهتمام الخاص ملاحظة المؤرخ التركى أن أبازا، رغم تفكك جورجيا السياسي، مثل جزءا لـ «جيورچيستان». واضح أن تركيا أتقنت معرفة الأمور، لأن جورجيا وقتئذ كانت تحت تأثيرها.

استمتعت فى العشرينات للقرن الثامن عشر روسيا بسقوط سلالة الصفوية فى إيران (١٧٢٢) وتنشط نحو بحر القزوين الأمر الذى جعل تركيا تقلق. تركيا أيضا استمتعت بالظروف فاستقرت فى بعض المناطق الايرانية. فى السنة ١٧٢٣ تمكنت التركية من أن توقف الحملات الروسية فى سواحل بحر القزوين، وفى يونيو نفس السنة احتلت مدينة تبيليسى. ثم بدأوا بناء قلاع جديدة رغبة الاستقرار فى مدينتي بوتى وسوخومى. وحلوا أناقوفيا وبيتشفينتا أيضا. وواصلوا عملية بناء القلعة فى سوخومى رغم الهجومات المطردة من قبل الأبخاز.

كانت أبخازيا وقتئذ مضمار نشاطة بائعي العبيد واللصوص. ولم يتمكن رؤساء المحافظات من السيطرة عليهم ومراقبتهم. فى الثلاثينات القرن الثامن عشر، اضطر حاكم أبخازيا مانوتشار شارفاشيدزه وأخواه زوراب وشروان إلى أن يغادرا إلى تركيا

فى المنفى. واستولى مكانتهم أسلان بي جيتشى وهو من كبار قوم الجيكيين. ولكن الإخوات شارفاشيدزه استطاعوا أن يعقدوا مع الطرف التركى العلاقات الودية فأسلموا. عُيّن فى السنة ١٧٤٤ زوراب شارفاشيدزه فى منصب بيك سوخومى فظلت الحامية التركية القوية تستقر فى المدينة.

جرت فيما بين ١٧٦٨-١٧٧٤ الحرب الروسية التركية. دخل فى ١٧٦٩ جورجيا الفيلق الروسى الذى هدف إلى طرد الأتراك من سواحل البحر الأسود ولكن بدون جدوى. أيد بيك سوخومى زوراب شارفاشيدزه الأتراك بادئ الأمر ولكنه جانبهم بعد ذلك وفتح قلعة سوخومى ولكن سيطرته على القلعة لم تنتشر لمدة طويلة. منحت صلحة كيوتشوك-قاينجار لروسيا مواقف أحسن من تركيا. وما عدا الاستولاء على بعض الاراضى، أصبح للبحرية الروسية حق الملاحة فى البحر الأسود والمرور عبر المضائق. حسب المادة ٢٣ للاتفاقية، تحررت مملكة إيميريتى الجورجية من التزام دفع الإتاوة لصالح الأتراك. رغم ذلك حاولت تركيا ألا يفقد تأثيرها على جورجيا فأصبح منذ ثمانينات القرن الثامن عشر نقطة اعتمادها حاكم أبخازيا الجديد كيليش بي. هو بدوره تمكن من تقوية موقفه بمساعدة تركيا وتركيز السيرطة على المنطقة فى يديه.

تغير وضع الوحدات الجورجية السياسية تغيرا ملحوظا فى الحد بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الأمر الذى يرتبط بعقد الاتفاقية جيورجيفسك بين مملكة كارتل-قاخيتى (جورجيا الشرقية) وروسيا. صحيح أن المعاهدة ضايقت سيادة جورجيا نسبيا ولكن البلد احتفظت على الاستقلال وبقيت موضوع القانون الدولي. حسب الخريطة المكونة فى ١٧٩٣ «خريطة الامبراطورية الروسية التأريخية» تعتبر جورجيا أرضا جديد

النيل لروسيا وحدودها عند بحر أزوف
(Essaus from the History of Georgia. Abkhazia.Tbilisi, 2011, p. 496, - Historical Maps № 19).

وتظهر فى الخريطة المحافظات الجورجية أيضا: إيميريتى ومجريليا أما أبخازيا والتى اعتبر أنها تدخل مجريليا، فليست مذكورة على الأطلاق. وقصد البند الرابع لمعاهدة جيورجيفسك الذى نص عن التزام روسيا بذل جهودها فى أمر اتحاد جورجيا بطريقة انضمام الأراضى الجورجية التأريخية، ويحصل ذلك فى الحدود المشار إليها فى هذه الخريطة. ولكن روسيا خابت آمال جورجيا التى وثقتها وأعطتها جماح حظها. لم تفِ روسيا التزاماتها المرتبطة بنشاطاتها في توحيد جورجيا وحمايتها بل أكثر، ألغت فى السنة ١٨٠١مملكة جورجيا الشرقية إطلاقا وأدخلت بها الحكم الروسى. وبعد سنة تأسست «مجلس جورجيا» الذى رأسه قواد الجيوش الروس المتمركزة فى القوقاس الذين أخذوا اللقلب «رئيس الحكماء لجورجيا». أعطى روسيا هذا النوع من الحكم الحق أن تسترجع الأراضى الجورجية المحتلة من قبل تركيا لتعيد وحدة جورجيا، ولكن ليس كدولة مستقلة وما ناسب البنود المعترفة بها فى معاهدة العام ١٧٨٣، بل كإحدى مقاطعات روسيا.

أول ما أهملت روسيا معاهدة السنة ١٧٨٣ وقامت بضم جورجيا الشرقية، لم تلبث أن تتنشط للاستولاء على جورجيا الغربية وضمنها أبخازيا. وقع فى ديسمبر ١٨٠٣ نبيل مجريليا جريجول داديانى الناطق كحاكم أوديشى وليتشخومى وسفانيتى وأبخازيا وأراض أخرى، على طلب أن تأخذ روسيا فى رعايتها الأراضى التى تحت حكمه بأكملها و هى الأراضى التى تدخل حكمه أصليا وبعضها تكون حاليا خارج حكمه من أجل أسباب مختلفة
(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область

Грузии. Историография, документы и материалы, комментарии. Тбилиси, 1997, с. 287).

والأراضى التى خارج حكم النبيل هى جيكيتى والأراضى الجورجية الواقعة حتى بحر أزوف (راجع الخريطة الروسية للسنة ١٧٩٣ المذكورة أعلاه). دون شك، إن هذا رجاء داديانى كتب تحت إملاء بيتسبورج وذلك أخذا بعين الاعتبار البند الرابع لمعاهدة ١٧٨٣. صدق الامبراطور أليكسى الثانى على هذا الرجاء وأيضا على العقد الموقع مع ملك إميريتى فى الرابع من يوليو للعام ١٨٠٤، وعلى أساس ذلك نال الحق القانوني لضم سواحل البحر الأسود الشرقية.

راقب حاكم أبخازيا كيليش بي الأمور المتطورة فى جورجيا الغربية وابتداء من ١٨٠٣ بدأ يفكر عن تغيير الاتجاه فى تصرفاته. حاول كيليش بى سرا أن يتعامل مع رئيس الحكماء لجورجيا ب. تسيتسيانوف بمساعدة نبيل مجريليا. فأبلغ تسيتسيانوف مستشاره الجراف أ. فورونتسوف: «أرى بمثابة واجبى أن أتناول موضوع تاريخ كيليش بى ومملكته. فى القرن الخامس عشر، وبالتحديد فى النسة ١٤١٤ بعد الميلاد، عندما لم تكن إيبيريا تفككت قط، هو – كيليش بي – كان معروفا باسم شيرفاشيدزه ومملكته كانت إحدى محافظات إيبيريا»
(Акты, Собранные Кавказской Археографической Комиссией, т. 2. Тифлис, 1868, с. 463).

واستعان وزير الخارجية الروسي ا. بودبيرج التأريخ عندما أبلغ رئيس الحكماء لجورجيا الجديد الجنرال إ. جودوفيتش عن رغبة الامبراطور فى ضم أراضى أبخازيا وبالتحديد قلاع جونيو، وباتومى، وبوتى، واناقليا، واسجاورى، وسوخومى، وأنابا «لأن هذه القلاع تبعت جورجيا من أقدم العصور، ولذلك واجب علينا أن نسعى إلى ضم هذه الأراضى أيضا إلى روسيا»
(Акты, Собранные Кавказской Археографической Комиссией, т. 3.

Тифлис, 1869, с. 525-526).

كما نتأكد فإن وزير الخارجية الروسى أحسن معرفة فى أن أبخازيا تابعة لجورجيا بل وأناقليا أيضا والتى تبتعد بـ ٣٠٠ كم وأنابا التى تدخل حاليا فى حدود روسيا. وهذه هى الحقيقة التى منح حق انضمام هذه الأراضى إلى حدود روسيا بحجة استعادتها إلى جورجيا.

إن مساحة أبخازيا الحالية، مثل المحافظات الجورجية الأخرى دخلت رعاية روسيا تدريجيا. فوقع فى التاسع من يوليو للسنة ١٨٠٥ فى قرية باندزا (مقاطعة مارطفيلي) حكام سامورزاعانو على حلف صدر باللغة الروسية عن الإخلاص لملك روسيا وحاكم مجريليا. وتعترف فى هذه الوثيقة بأرض سامورزاعانو أنها جزء مجريليا التاريخي. وارد فى الحلف: «مثلما نحن عبيد الملك الحنون، مثله نحن عبيد حاكم مجريليا ليفان داديانى لأننا كنا ببلدنا من قديم العصور تابعين للحاكم النبيل داديانى

(Акты, Собранные Кавказской Археографической Комиссией, т. 2. Тифлис, 1868, с. 527).

طلب كيليش بى فى مايو سنة ١٨٠٦ من الإدارة الروسية لجورجيا أن تأخذ أرضه تحت حمايتها قلقا من العدوانية التركية المتوقعة. ولكن روسيا أخذا بعين الاعتبار الوضع الدولي، وخاصة عامل تركيا، لم تتعجل أن تقبل أبخازيا تحت «حمايتها».

جرى الصراع لأبخازيا فى ظروف الحرب الروسية التركية للأعوام ١٨٠٦-١٨١٢. شملت العمليات الحربية حوض نهر دوناى وقوقاسيا الجنوبية. فى أغوسطس عام ١٨٠٧ نال الطرفين الصلحة المؤقتة التي استمرت سنتين. وحصلت فى هذه الفترة ظواهر مهمة بالنسبة لأبخازيا. فى الثانى من مايو عام ١٨٠٨ مات كيليش بى واستولى بعد ذلك عرش أبخازيا ابنه أسلان بي

واعترف بطاعته لتركيا. ولكن فى نفس الوقت، أعلن ابن كيليش بي المسيحى سفر بي (واسم تعميده جورجى) والذى كان زوج اخت حاكم مجريليا جريجول داديانى، نفسه حاكم أبخازيا. فنشبت بينهما حرب وطلب جورجى شارفاشيدزه العون من الإدارة الروسية لجورجيا ومن حاكمة مجريليا المؤقتة السيدة نينو داديانى (زوجة جريجول). أخذ جورجى شارفاشيدزه على عاتقه الالتزام أن يخضع هو وتوابعه أوامر رئيس الحكماء لجورجيا. عرف جورجى شيرفاشيدزه أن بعد دخول تحت «حماية» روسيا ترجع أرضه واقعيا إلى جورجيا، رغم أن جورجيا حكمها الآن الجنرالين الروس وليس الملوك الجورجيون. «لأنكِ جعلتنى أحلف من أجل إخلاصى للامبراطور، فتوسطى إلى روسيا فى قبول أبخازيا تحت حمايتها، - كتب جورجى شيرفاشيدزه فى رسالته إلى نينو داديانى، - عليك يتعلق مدى سعيك فى مساعدتك لى فى أمر قبول الملك الجليل إيانا»

(Акты, Собранные Кавказской Археографической Комиссией, т. 3. Тифлис, 1869, с. 205).

وكان أمر حلول مصير أبخازيا فعلا متعلقا على مجريليا فأخذ حكام أبخازيا يذكّرون روسيا دون انقطاع أن أبخازيا جزء تأريخى من مجريليا. لاحظت نينو داديانى فى الثامن من يونيو عام ١٨٠٨ فى طلبها للامبراطور أليكسى الأول أن يقبل أبخازيا تحت حمايته: «رغم أن مأسات الأزمنة فصلت أبخازيا عن حكمنا إلا أن عرش نيقوبسيا سابقا كانت تابعة لليفان داديانى وأسلافه. وكاتسيا داديانى المتوفى، أبو جريجول داديانى المتوفى منذ قليل، جبى أتاوى منهم فإن أبخازيا جزء من مجريليا»

(Акты, Собранные Кавказской Археографической Комиссией, т. 3. Тифлис, 1869, с. 201).

برأى نينو، كانت حينئذ وقت مناسب لقبول أبخازيا فى رعاية

روسيا، وكان ستدخل أبخازيا فى حماية روسيا كإحدى محافظات إيبيريا، وجزء مجريليا.

امتنعت روسيا التى وفت رسميا الالتزامات أمام تركيا، عن انضمام أبخازيا فى هذه المرحلة، ولكن فى العام ١٨٠٨ فى بداية شهر أغسطس، حاولت أن تفتح سوخومى وذلك بوسيطة الجيوش الأبخازية المخلصين لجورجى شيرفاشيدزه، وجيش مجريليا القومية. وفى الخلفية كانت الجيوش الروسية النظامية. رغم أن هذه الجيوش المتحدة وصلت إلى سوخومى ولكنهم لم يتمكنوا من فتحها.

بعد ذلك تعجل حل مسألة أبخازيا. فى ١٢ أغسطس ١٨٠٨ وقع جورجي شيرفاشيدزه ونبلاؤه المخلصون على الرسالة المؤلفة باللغة الجورجية التى احتوت على الطلب عن انضمام أبخازيا إلى رعاية روسيا. وشدد حاكم أبخازيا على أنه يكون خاضعا لحكام جورجيا هو وقومه. وأرفق هذا الطلب بخاتمة وقع عليها جورجى شيرفاشيده وورد فيها أن رسائله السابقة وهذه أيضا مكتوبة تحت توصية رئيس كنيسة دار داديانى القسيس يوحنا يوسيليانى الذى وصاه بأن يدخل مرؤوسا حماية العرش الامبراطورى

(Акты, Собранные Кавказской Археографической Комиссией, т. 3. Тифлис, 1869, с. 209).

أخذا بالاتعبار الوضع الدولى، لم تتسرع روسيا فى هذ الأمر. فى مارس عام ١٨٠٩ سقطت المصالحة المؤقتة واستأنفت النشاطات. ففى ١٥ يونيو لنفس السنة أخذت روسيا أنابا، أما فى ١٥ نوفمبر فـ بوتى الأمر الذى عجل أمر أبخازيا أيضا. فى العام ١٨١٠، ١٧ فبراير، وثق الامبراطور أليكسى الأول طلب حاكم أبخازيا وفى العاشر من يوليو أخذ الروس قلعة سوخومى.

تؤكد المواد المذكورة أن أبخازيا دخلت رعاية روسيا كإحدى محافظات تاريخية من محافظات جورجيا وجزء مجريليا. والدور الأكبر فى ذلك لنينو باجراطيونى-داديانى ابنة ملك جورجيا الأخير جورجى الثانى عشر والحاكمة المؤقتة لمجريليا. وكان غرضها الحقيقى استعادة أبخازيا إلى محتويات محافظتها. كتب رئيس الإدارة الروسية فى القوقاس الجنوبى أ. ن. طورماسوف فى ١١ يناير ١٨١٠ لوزيرالخارجية الجراف ن. ب. روميانتسيف أن بفضل نينو جعلوا سفر بي (جورجى شارفاشيدزه) يدخل بكل ما تحت حكمه رعاية وحماية روسيا

(Акты, Собранные Кавказской Археографической Комиссией, т. 4. Тифлис, 1870, с. 393).

وبعد ذلك لا تقاوم إدعاءات مسؤولي روسيا الحاليين أية انتقادات عندما يزعمون مزورين التاريخ أنهم اعترفوا بـاستقلال أبخازيا لأنها دخلت روسيا كوحدة مستقلة عن جورجيا. أما فى الحقيقة فدخلتها كجزء جورجيا وكان لجورجى شيرفايدزه عن ذلك المكاتبة باللغة الجورجية.

استمرت الحرب الروسية التركية ووضعت أوزارها فقط بعد مصالحة بوكاريست لـمايو ٢٨ لعام ١٨١٢. واختصت البند السادس من هذه المعاهدة بقوقاسيا. تنزلت روسيا عن بوتى وأناپا، ولكن مقابل ذلك ظلت تحت «رعايتها» جزء كبير من جورجيا الغربية – إيميريتى ومجريليا وأبخازيا.

لم تخضع منطقة تسيبيلى (تسيبيلدا) نبيل أبخازيا جورجى شيرفاشيدزه. وقع الحلف المكون باللغة الجورجية عن الإخلاص لامبراطور روسيا باسم تسيبيلى حاكمها مارشانيا. وصلوا مارشانيا بدعوة ليفان الخامس داديانى فى ٢٩ نوفمبر ١٨١٥ إلى سامورزاعانو وبالتحديد إلى مدينة اوكومى. قيل فى الوثيقة

الموقعة عليها: «نحن، الموقعون أدناه، حكام تسيبيلى – النبلاء مارشانيا، نقدم هذه الرسالة لكم لسعادة النبيل الجليل ليفان داديانى، ورغم أننا خضعنا أسلافا وأجدادا أسلافكم وأجدادكم ولكن من أجل المأسات السابقة انفصلنا عن بعضنا البعض، والآن انتم رغبتم فى القرابة والوداد وجددتم علينا نعمتكم، ونحن نثق فى نيتكم الخالصة، ونحلف على هذا القرآن الكريم أننا فى المقام الأول لن نخالف امبراطور روسيا أليكسى ابن بولس وذلك بوسيطتكم، ونكون مطيعين لكم مدى إمكانياتنا، ونقاوم فى حدود وسعنا أعداء روسيا وأعداءكم...

(Акты, Собранные Кавказской Археографической Комиссией, т. 5. Тифлис, 1873, с. 507-508).

وليس من الزائد أن نذكر أن حكام تسيبيلي المسلمين حلفوا على القرآن أمام الكهنوتية المسيحيين – مطران تسايشى جريجول (تشيكوفانى) وكبيري الكهنوتية جورجى (قوخالاشفيلى) ويوحنا يوسيليانى. يبين من المستند المذكور، والذى موثق بختم المطران جريجول أن قبيلة تسيبيلى حسب اعتراف حكامها (وأيضا حسب مصادر كثيرة أخرى) حتى القرن السابع عشر دخلت مجريليا ولذلك أقسم حكام تسيبيلى على طاعتهم نحو روسيا ونحو ليفان الخامس داديانى فى نفس الوقت.

رغم «بنود الطلب» و«اللإقسامات»، الناس الأبخاز لم يطيعوا وواصلوا حتى سبعينات القرن التاسع عشر يناضلون ضد روسيا. وليست تركيا أيضا من تنزلت عن مواقفها فى أبخازيا وجورجيا الغربية كلها بسهولة. وحاول أسلان بي بدعم الشعب أن يرجع إلى أبخازيا فى السنة ١٨١٣، ولكن دون جدوى.

فى العام ١٨١٧ اندلعت الحرب الروسية القوقاسية وازداد قيمة أبخازيا الاستراتيجى أكثر. سيطرت روسيا واقعيا على سوخومى

فقط بحاميتها التى شملت ٥٠٠ جنديا. ولكن ذلك لم يكن كافيا، إن روسيا احتاجت إلى مراقبة كل الساحل الشرقى للبحر الأسود والذى ارتبط القوقاسيون المحاربون من أجل الحرية بواسطته بالعالم الخارجى يحصلون على العون منه. فى هذه الحرب العادلة كانتا حليفاهم الانجلترا وتركيا. من أجل ذلك، فإن روسيا أيدت حاكم أبخازيا جورجى شيرفاشيدزه، والذى لم يعترف به أغلبية السكان. كثرت بين السكان اعتراضات ضد روسيا، فمثلا فى السنوات ١٨٢١ و١٨٢٤ قاد الاحتجاجات أسلان بي ولكن روسيا فاز عليهم استخداما القوات المسلحة.

رغم ذلك فإن حكام أبخازيا جورجى شيرفاشيدزه (مات فى ١٨٢١)، ووريثاه ديميطرى (مات فى ١٨٢٢) وميخائيل الشاب لم يتمكنوا من السيطرة على الأوضاع فى المحافظة. أدركت روسيا أن فى أبخازيا، ما عدا العمليات العقابية الجزائية، ضرورى اتخاذ نشاطات وإجراءات أخرى. بادئ ذى البدء، كان ضروريا وضوح فى العلاقات مع تركيا لأن تركيا بعينها من وقفت خلف احتجاجات أبخازيا. واستمتعت روسيا بوضع صعب فى تركيا والذى تشكل عقب افتراضات الإنكشارية، وجعلها تقبل تجديد المعاهدات. ونتيجة هذه المباحثات فى الواحد من يوليو عام ١٨٢٦ وقعا وثيقة أكيرمان. بالنسبة لجورجيا، لم تخالف هذه الوثيقة معاهدة بوكاريست. ولكن فى ٢٠ ديسيمبر عام ١٨٢٧ ألغاها السلطان محمد الثانى وتسبب ذلك فى تجديد الحرب بين روسيا وتركيا فى ١٨٢٨-٢٩. فى الثانى من سبتمبر ١٨٢٩ وقعت هدنة أندريابول. على أساسها اعترفت تركيا بأن إيميريتى وساكارتفيلو ومجريليا وأبخازيا وأيضا مدن بوتى وأخالتسيخى وأخالكالاكى تنقلت إلى الحكم الروسى.

النجاح الدبلوماسى والعسكرى الذى نالتها روسيا فى

عشرينات القرن التاسع عشر جعلت حركة المقاومة فى أبخازيا تتراجع تدريجيا. من كان يصارع روسيا وضعوا سلاحهم وأقسموا على الولاء لروسيا وبالتالى تقوت حكمة حكيم أبخازيا ميخائيل شارفاشيدزه. كانت تلك فترة عندما غيرت روسيا تكتيكاتها نحو القوقاس الجبليين. وهذه التكتيكات رجحت على جزاء المعترضين بالاساليب القسرية وكونت من أنابا حتى بوتى لهذه العمليات الجزائية فى سواحل البحر الأسود التحصينات العسكرية وأسست التحصينات مثل هذه فى الثلاثينات فى أبخازيا وبالتحديد فى جاجرا وبيتشفينتا وبومبورا.

استخدمت روسيا فى هذه العمليات العسكرية القسرية حاكم أبخازيا وميليشيات التابعة له. مثلا الميليشيات الأبخازية فى مايو عام ١٨٣٧ ويوليو ١٨٤٠ اشتركت مع الروس فى إخماد الهياج بين سكان تسيبيلى

(Акты, Собранные Кавказской Археографической Комиссией, т.VIII. Тбилиси, 1881, с. 457 – 463 т. IX, Тбилиси, 1884, с. 492 – 493).

فى أكتوبر ١٨٤١ اشترك شارفاشيدزه ومعه الميليشيات تضم ألف وخمسمئاة نسمة مع الجيش الروسى فى غارة أهل شابسوغ وناطوخ، واحرقو بيوتهم وطردوهم من أراضيهم. فنال شارفاشيدزه لهذه «البطولة» المكافأة من القواد الروسيين

(Акты, Собранные Кавказской Археографической Комиссией, т. IX. Тбилиси, 1884, с.513 – 519).

للأسف، اشتركت الميليشيات الأبخازية والجورجية عامة فى عمليات ضد الجبليين. من وجهة النظر العسكرى، لم تكن الميليشيات قوة كبيرة، ولكن اشتراكهم فى العمليات ضد الإخوان القوقاسيين، حتى ولو كان الاشتراك رمزيا، كان له دور سياسى كبير. إن هذه طريقة حاولت روسيا بها تفريق الشعوب القوقاسيين وتعارض بعضهم ضد البعض. علينا أن نقول، إن هذه المحاولة لم

تمرر دون جدوى، ونواجه نتائجها المؤسفة حتى أيامنا.

أصبح أمر أبخازيا موضعيا أثناء الحرب الشرقية (١٨٥٣-٥٦) التى معروفة كذلك كحرب القرم. فى المارس وإبريل ١٨٥٤ تركت القوات المسلحة الروسية أرض أبخازيا بمساعدة شارفاشيدزه ففى مارس العام ١٨٥٥ دخلت الجيوش التركية سوخومى. فأيد جزء كبير من السكان الأبخاز الأتراك. كما هو معروف، خسرت روسيا فى حرب القرم والبلقان، ولكنها فازت فى القوقاس. دخل فى سبتمبر ١٨٥٥ عمر باشا سوخومى بجيشه يشمل خمس وأربعين ألف عسكرى، هدف مساعدة حارسي القارص، ولكن فى نفس السنة فتح الروس القارص الأمر الذى جعل حملة عمر باشا عديم أى معنى. فى فبراير العام ١٨٥٦ تركت تركيا أبخازيا وجورجيا كلها. واستولت روسيا على قوقاسيا كلها، ولكنها تنزلت عن القارص وبايازيت في صالح تركيا، وكذلك منعت لروسيا بنية موانئ عسكرية فى سواحل الشرقية للبحر الأسود وتحصينتها.

اضطرت روسيا إلى أن تفتح أبخازيا من جديد. استقرت فى الخط الساحلى الوحدات العسكرية لها. أسس منصب قائد جيوش أبخازيا ما هدف إلى تقوية السيطرة الروسية فى المنطقة، كما نقلت أبخازيا إلى سيطرة الجنرال-الحاكم العام لكوتايسى. ما عدا ذلك، بحث الحكم الامبريالى أمر إلغاء حكم محافظة أبخازيا وإدخال الحكم الروسى هنا. ولكنها لم تستطع حل الأمر بسرعة فأجل الأمر. واجهت روسيا مهمة فتح القوقاس الشمالى، فيما احتاجت كثيرا إلى دعم الأبخاز وميخائيل شيرفاشيدزه.

حاربت الميليشيات الأبخازية فى المرحلة الأخيرة فى الحرب الروسى القوقاسى ضد إخوانهم القاوقاسيين. فعلى سبيل المثال، فى أغسطس عام ١٨٦٠ الميليشيات الأبخازية التى شملت ثلاثة

آلاف عسكرى اشتركت بكل النشاط فى الحملة ضد بسخو
(Акты, Собранные Кавказской Археографической Комиссией, т. XII. Тбилиси, 1904, с. 859 – 860).

يشدد المنفصلون المختصون فى تزوير التاريخ باطراد في واقع اشتراك الجورجيين فى الحرب ضد القوقاسيين، وأيضا على واقع اشتراكهم فى موكب «الانتصار» العسكرى فى ٢١ مايو عام ١٨٦٤
(Покорение ЗападногоКавказа и окончание кавказской войны. Исторический очерк. Составил С. Эсадзе. Тифлис, 1914, с. 167 – 174).

ولكنهم فى نفس الوقت يخفون عن قرائهم وقائع «بطولة» الميليشيات الأبخازية ضد إخوانهم القوقاسيين (شابسوغ، ناطوخيين) واشتراكهم النشيط فى غارة الوحدات الأبخازية الأصل (مثل تسيبيلى وبسخو وأيبجا) وإحراق بيوتهم ونفى سكانهم إلى تركيا، وأيضا واقع الاشتراك النشيط لشيرفاشيدزه وجيوشه فى نفس موكب الانتصار.

بشهرين قبل انتهاء الحرب القاوقاسية، فى ٢٧ من مارس ١٨٦٤، خليف الملك الروسى فى القاوقاس ميخائيل رومانوف (أخو الامبراطور أليكسى الثانى) رفع أمام الوزير العسكرى مهمة إلغاء محافظة أبخازيا. حسب اقتراحه، كان إلغاء الحكم فى أبخازيا سيتلو تأسيس مقاطعة مطاعة للجنرال-الحاكم العام لكوتايسى وتوطين بلدات قوزاقية فى هذه الأراضى حتى نهر إنجورى
(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историчекая область Грузии, с. 329-333).

فاستحسن خليف الملك الروسى ذلك الاقتراح وبالتالى، فقدت المعاهدة عن قبول أبخازيا فى حماية روسيا فى ١٧ فبراير ١٨١٠ إسناده الرسمى.

بعد انتهاء الحرب الروسية القوقسية (بعد ٢١ مايو عام ١٨٦٤) لم تعد لمحافظة أبخازيا وظيفة هامة فقررت روسيا إلغاءها فلم

تلبث أن نفذت ذلك. تنحى فى يونيو عام ١٨٦٤ حاكم شيرفاشيدزه من منصبه إرغاميا وأسس الحكم الروسى فى المنطقة. نشأت العضو العسكرى لسوخومى. ابتداء من ١٩٠٣خضعت المنطقة مكتب رئيس الإدارة الروسية مباشرة، رغم أن الأمور الإدارية (التابعة للبوليس والتعبئة) والقضائية (المحاكم) بقيت ضمن سيطرة الجنرال-الحاكم العام لكوتايسى. فصلوا فى العام ١٩٠٤ مدينة جاجرا عن مقاطعة سوخومى وضموها إلى مقاطعة البحر الأسود.

توبع إلغاء محافظة أبخازيا وتأسيس الحكم الروسى باعتراض الناس الأمر الذى كان من أهم دوافع الانتفاض فى العام ١٨٦٦. أخمدت الحكومة هذا الانتفاض بقساوة وبعث فى العام١٨٦٧ أكثر من عشرين ألف أبخازي فى منفى إلى تركيا وهم من سموهم بـــمهاجرين. تتعلق الموجة التالية للمهاجرة بالحرب الروسية التركية للسنتين ١٨٧٧-٧٨. دعم أغلبية السكان الأبخاز وقتئذ أيضا تركيا ولذلك اثنين وثلاثين ألف أبخازي متهمين فى الخيانة العظمى أضطروا إلى مغادرة بيوتهم والهجرة إلى تركيا وكان ذلك مأساة قومية كبرى.

لكانت نتائج تلك المهاجرة أثقل بكثير لولا جهود الكهنوتية الجورجية فى أبخازيا برئاسة الأسقفين ألاسكندر (أكروبيريدزه) وجبرائيل (كيكودزه). مجدتهما الكنيسة الجورجية الارثودوكسية. هما رأسا لمدة أكثر من خمس وعشرين سنة أبرشية أبخازيا التابعة للاكسراخية الجورجية وعمدوا عدة ألاف أبخازيا بطريقة مسيحية فيما أيدهما القوم الجورجى بأجمعه. فنجا القوم الأبخازى من النفى إلى تركيا ومن الإبادة الجسدية مثلما حصل ذلك للقوم القوقاسيين الشماليين الذين هاجروا من أراضيهم إرغاميا. صفت روسيا المنقطة ما بين نهرى فسو وعوبان من الأهل الأصليين إذ

أبادتهم جسديا أو نفاهم إلى تركيا. والفضل في أن أفسوا-أباز لم يشتركوهم فى مصيرهم إنما يرجع إلى المجتمع الجورجى فى المقام الأول.

تفذت روسيا غرض مضايقة السكان الأبخاز الذين «لا ثقة فيهم»، التدابير الصارمة. بأمر الامبراطور أليكسى الثانى الصادر فى ٣١ مايو عام ١٨٨٠ أُعلن الشعب الأبخازى «شعبا مجرما». وتسبب ذلك فى تمييز وتضييق الأهل الأبخازى فى حقوقهم الاجتماعية والسياسية.

بدأت روسيا بعد نجاحها فى الحرب القوقاسية وتدميرها الشعوب وإرغامها إياهم إلى هجرة من أراضيهم، وبعد أن ضعف الأبخاز، تنشط السياسة الامبريالية الاستعمارية القاسية فى جورجيا. بالنسبة لأبخازيا، كانت عبارة لذلك أنها أسكن هذه المنطقة بالروس والأرمان واليونانيين الذين كانو مواليين نحو روسيا. كان فى تلك الأزمنة نجل الجورجيين المنفيين من هناك فى القرن السابع عشر يرجعون إلى أرضهم الأصلية. فعُبرت قساوة السياسة الامبريالية، مع الظواهر الأخرى، فى نفي اللغة الجورجية من المدارس والكنائس وكل أوجه الحياة الاجتماعية، وكذلك فى استفزاز تعارض الاصطناعى بين الأبخاز والجورجيين.

أجرت الحكومة الروسية نحو الأبخاز سياسة العصا والجزرة. نتيجة المهاجرة ضعف الأبخاز إلى درجة أنهم لم يعودوا يمثلون لروسيا قوة سياسية واقعية أو خطورة (وخاصة بعد فتح القاوقاسيا الشمالية). فحاولت الحكومة توجيههم ضد الجورجيين الطليعيين الذين بذلوا جهودا فى الحركة الدمقراطية التحررية. نتجت سياسة فرق تسد الامبريالية ثمراتها الواقعية الأولى فى فترة الثورة الدمقراطية للسنوات ١٩٠٥-١٩٠٧. أيد الأبخاز حينئذ ليس الدموقراطية بل الأمبريالية. علينا أن نبحث أسس تلك الظاهرة

فى خواصى ترتيب الأبخاز الاجتماعى، وبالتحديد – فى عدم وجود القمع الاجتماعى والمعارضة الصفّية، وسياسة القيصارية أو تساريزم (الحكم الروسيى الامبريالي) الضدجورجي، وإدخال اللغة الروسية والنمط الروسى فى حياتهم، وفى سعيهم الطبيعى إلى استرجاع الحقوق المحرومة منها فى السنة ١٨٨٠.

فى ٢٧ إبريل عام ١٩٠٧، أخذا بعين الاعتبار فضل الأبخاز فى سنوات الثورة، صدق نيكولا الثانى الاقتراح الذى رفعت من قبل حكومته عن «تسوية مقاطعة سوخومى فى حقوق ملك الأراضى». بالتالى، تحرر الناس الأبخازى من لقب «الشعب المجرم» المذل. فى ظروف رد الفعل ضد ثورة ١٩٠٥-٧، وخاصة بعد فشلها، حاولت الحكومة الروسية تعميق الهاوية بين الأبخاز والجورجيين. تطور فى الأوساط الأكاديمية الأيديولوجيا «ليست أبخازيا جورجيا»، الذى زرعوها بنشاطة فى وعى الناس الأبخاز. ولكن رغم كل تلك الجهود للقيصارية (تساريزم)، إن فى السنتين ١٩١٦-١٩١٧ دافع الأبخاز والجورجيون متحدين عن وحدة الكنيسة الجورجية وأبراشية سوخومى، الأمر الذى أسقط محاولة القيصارية (تساريزم) فى فصل أبراشية سوخمى عن الكنيسة الجورجية المتحدة، وفصل كنيسة سامورزاعانو عن أبراشية سوخومى.

١.٣ أبخازيا – وحدة ذات الحكم لجمهورية جورجيا الدمقراطية

تغيرت بعد ثورة فبراير السنة ١٩١٧ الدمقراطية وسقوط القيصارية (تساريزم) الأوضاع فى الامبراطورية الروسية كلها

وفى القاوقاس وفى أبخازيا أيضا. مثل عضو الحكم الأعلى فى روسيا فى الظروف المتغيرة الحكومة المؤقتة، أما فى القوقاس الجنوبى – فاللجنة الخاصة (رأسها أكاكى تشخينكيلى من سامورزاعانو)، فى منطقة سوخومى الإدارية – لجنة الأمن الاجتماعى، التى أسست فى العاشر من مارس عام ١٩١٧ رأسها الاسكندر شارفاشيدزه. كان فى منصب رئيس مدينة سوخومى ب. تشخيكفيشفيلى.

مثلما كان من المرجح، إن أفسوا-أبخاز وقوادهم أيدوا الحركة التوحيدية للشعب الجبلى القوقاسى الشمالى. فى مايو ١٩١٧ تكونت اللجنة المركزية للجبليين (حكومتهم) التى أوفدت إلى أبخازيا المندوبين. اتخذ مؤتمر الشعب الأبخاز فى السابع والثامن من نوفمبر عام ١٩١٧ قرارا عن انضمامهم إلى اتحاد الجبليين، ووثقوا على إعلان مجلس الأبخاز الشعبى ودستوره، وانتخب أعضاء اللجنة الشعبية (الرئيس – س. باساريا). مثلت تلك اللجنة عضوا قوميا سياسيا للأبخاز فقط، ودافعت عن مصالحهم، ولكنها لم تطالب بدور العضو السياسى الأعلى. أوفدت اللجنة إلى حكومة الجبليين بمثابة ممثل س. أشخاتسافا، الذى عين وزيرا فى أمور أبخازيا.

علينا أن نشدد في أن انضمام أبخازيا إلى ذلك الاتحاد للجبليين، لم يعن رغم ادعاءات المنفصلين، أن أبخازيا دخلت حدود القوقاسيا الشمالية بالمنعى الإداري. بقي مقاطعة سوخومى إداريا جزءا من القوقاسيا الجنوبي. وبدورهما، لم تتطالب اتحاد الجبليين وحكومته المؤقتة بأبخازيا. ورد فى المرسوم الأول الصادر فى الرابع من ديسيمبر عام ١٩١٧: «إن حكم الحكومة المؤقتة يمتد على مقاطعتي زاكاتالا وسوخومى فى الأمور القومية والسياسية، ولكن اتخاذ القرار عن نشر الحكم الجبليين الكامل فليقرره المجلسين الشعبيين

للمقاطعتين». ولكن اللجنة الشعبية لأبخازيا لم يتخذ هذا القرار، بل ومؤتمر الفلاحي الثانى للمقاطعة فى ٤-٩مارس ١٩١٨ قرر أن أبخازيا «تدخل ضمن الشعب القاوقاسي الجنوبى، على قدم المساواة، لتبنى مستقبلها مع جورجيا الدمقراطية»

(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии, с. 408 – 409).

اللجنة الخاصة لقاوقاسيا الجنوبية التى تبعتها أبخازيا استبدلتها فى ١١ نوفمبر ١٩١٧ الحكومة المؤقتة للقاوقاس الجنوبى. بطريقة الانقلاب الذى حدث فى بيتسبورج جاء فى رئاسة روسيا المجلس البولشيفي الذى ألغِي بعد قليل. بعد ذلك بدأت اللجنة تجهد من أجل حرية القوقاس الجنوبية. حاولت فى تلك الأزمنة تركيا أن تنفذ حقوقها فى سيطرتها على باتومى والقارص وأرطآن وبعض المناطق الأخرى الأمر الذى عجل إعلان استقلال القاوقاس الجنوبية. أسس النواب القاوقاسيون الجنوبيون فى العاشر من فبراير ١٩١٨ مجلس القاوقاس الجنوبى، فأعلن هذا البرلمان فى التاسع من إبريل استقلال المنطقة، ورأس حكومة القاوقاس الجنوبية أكاكى تشخينكيلى. هنالك أيضا دخلت أبخازيا القاوقاس الجنوبية.

ولكن إعلان الاستقلال لم يصلح ظروف القاوقاس الجنوبى. بدأت تركيا فى ٨-٩ إبريل ١٩١٨ العمليات الحربية فأخذت فى فترة أسبوعين منطقة أجارا وجزءا كبيرا من جورجيا الجنوبية الغربية. صعبت الظروف نحو أبخازيا كذلك. فى المقام الأول، علينا أن نلاحظ أنه محاذيا لتدبير الأمور الإدارية لتنظيم القاوقاسيا الجنوبية، جرت عمليات تقرير مصير الشعوب التى تدخله. عقد فى هذا الإطار فى التاسع من فبراير ١٩١٨ في تبيليسى اجتماع اللحنة القومية الجورجية واللجنة الشعبية لأبخازيا. اتفق الطرفان

على التالى: «فى الحدود ما بين نهرى إنجورى ومزيمتا، تستعاد أبخازيا المتحدة التى تدخل حدودها أبخازيا بعينها وسامورزاعانو»
(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии, с. 402).

أمر التنظيم السياسى لابخازيا كان على الجمعية التأسيسية أن تقرره.

بفضل جهود حكومة القاوقاس الجنوبى قد قرر أن منطقة جاجرا تدخل مجددا مقاطعة سوخومى. اتخذت هذا القرار فى الثلاثين من أكتوبر ١٩١٧ اللجنة الخاصة لقوقاس الجنوبى برئاسة أ.تشخينكيلى، أما اللجنة قوقاسيا الجنوبى برئاسة إ. جيجيتشكورى، فصدق على القرار فى السابع من ديسيمبر قائلا: «أعيدت الحدود التاريخية القديمة لمقاطعة سوخومى التى تدخلها مناطق جاجرا وبزيفى»
(Статус автономных регионов Абхазии и Юго – Осетии в составе Грузии. 1917 – 1988. Сборник политико - правовых актов. Тбилиси, 2004, с. 213 – 214, 218).

كما سبق الذكر، إن أبخازيا كانت جزءا من قوقاسيا الجنوبية المستقلة، ولكن البولشيفيين لم يرغبوا فى أن يتنزلوا عنها فحاولوا مرتين فتحها فى شتاء عام ١٩١٨. استطاعوا كلتا النوبتين أخذ سوخومى وتأسيس ما يسمى باللجنة الثورية فأصبحت أبخازيا مضمار الإرهاب والسرقة البولشيفية. ألغى البولشيفيون اللجنة الشعبية لأبخازيا فسجنوا رئيسها س. باساريا وبعض أعضائها.

حرر الحرس الجورجى الوطنى بقرار حكم قوقاسيا الجنوبية مدينة سوخومى من البولشيفية فى ١٧ مايو ١٩١٨. صدق فى العشرين من مايو المجلس الشعبى على تقرير المؤتمر الثانى للفلاحين أن تبقى أبخازيا ضمن الأسرة المشتركة لقوقاسيا الجنوبية. ضد الحقائق الواضحة، يعتبر التاريخ الانفصالى يوم

الحادى عشر من مايو عام ١٩١٨ – وهو يوم إعلان جمهورية الجبليين، بيوم إعادة دولة أبخازيا. إن أمر استعادة أبخازيا دولتها غامض ومجهول وخاصة فى ظروف احتلال المنطقة البولشيفى وإلغاء اللجنة الشعبية وحبس أعضائها، وعندما سمى البولشيفيون المنطقة ليس بأبخازيا بل بأكروج (أي وحدة إدارية، مقاطعة) سوخومى. إن الادعاء باستعادة دولة أبخازيا فى ظروف الاحتلال البولشيفى أقاويل فى أقاويل للمنفصلين وليس لها أي إسناد معتمد.

لم يكن للمؤتمر الذى افتتح فى ١١ من مايو ١٩١٨بين تركيا وقوقاسيا الجنوبية فى باتومى، أن يحل حتى ولو مشكلة واحدة. لم تتفق جورجيا وأرمينيا وأذربيجان فى مسائل السياسة الخارجية. اتخذت جورجيا التوجه الألمانى، وأرمينيا – الانجليزى، واذربيجان – التركى. أدت عدم التوافق دولة قوقاسيا الجنوبية إلى التفكك فى مايو سنة ١٩١٨. أعلنت جورجيا فى ٢٦ مايو ١٩١٨ إستقلالها الوطنى. وقع فى ١١ يونيو نفس السنة بين حكومة جورجيا واللجنة الشعبية لأبخازيا على اتفاق أصبح من أحد دوافع استعادة أبخازيا إلى حدود جورجيا.

ولكن روسيا لم يناسبها السلام والإجماع فى جورجيا. نفذ فى أواسط يونيو نفس السنة البولشيفيون هجومات جديدة من سوتشى ووصلوا إلى آثوس الجديد. بطلب أعضاء لجنة أبخازيا الشعبية بعثت حكومة جورجيا إلى أبخازيا جيشها برئاسة الجنرال ج. مازنياشفيلى والذى وصل إليها فى ١٩ يونيو. هجم الجيش الجورجى والسرب الأبخازى يضم ٣٠٠ عسكريا فى ٢٧ يونيو فحرر أبخازيا وليس هذا فحسب بل أخذ خلال شهر طوافسى (حاليا ضمن حدود روسيا). تحت ضغط الحرس الأبيض الذى قاوم البولشيفيين، اضطر الجيش الجورجى أو يتراجع إلى سوتشى.

استعملت القوات الأبخازية الداعمة لروسيا هذه الأحداث

لمصالحهم ففى يونيو ٢٧ استعانوا بقوات إنزال التركية التي كونها نجل المهاجرين إلى منطقة قودورى (أتشامتشيري). قبل شهر من هذا الحدث ذكرت صحيفة «جورجيا» إعلانيا عن خطورة إنزال القوات التركية فى أبخازيا. رفعت هذه المسألة كثيرا أمام اللجنة الشعبية لأبخازيا. فى الثلاثين من يوليو، فى إحدى جلسات اللجنة، أعلن فلاديمير إمخوفار: أعضاء قوات الإنزال دون شك إخواننا. وفى نفس الوقت، جأوا إلينا كجزء من الجيش النظامى التركى، ويبقون كذلك. لم يكن للعسكريين فى ظروف الحروب أن يدخلوا أرضنا تعسّفيا. إذا كانت الحكومة التركية تأذن ذلك، يعنى تعمل هذا مقصودا»

(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии, с. 423).

كان ضروريا اتخاذ قرارات مناسبة. تمكن الجيش الجورجى من أن يوقفوا القوات التركية ويرجعوها إلى تركيا.

بعدما فقدوا الأمل فى نجاح، ضج المنفصلون وقوات موالية لروسيا أخرى عن «احتلال» أبخازيا من قبل الجنرال مازنياشفيلى وطلبوا انسحاب القوات الجورجية. فأيد فكرة الاحتلال التاريخ الانفصالي المعاصر ليدّعوا أن وجود أبخازيا ضمن جورجيا الدموقراطية فى السنوات ما بين ١٩١٨-١٩٢١ لم يكن شرعيا. بحثت مرارا اللجنة الشعبية لأبخازيا ما يسمى بالاحتلال عندما تناولت موضوع ثقة نحو الجنرال مازنياشفيلي فقررت بالإجماع: «نوصدق على قراراتنا السابقة ونعلن عن ضرورة وجود الوحدات العسكرية الجورجية هنا»

(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии, с. 418).

لم تؤيد اللجنة فى ١٨-١٩يوليو اقتراح مندوب الحكومة الجورجية وعضو اللجنة الشعبية لأبخازيا إ. راميشفيلى عن

انسحاب الجيش الجورجى من أبخازيا. الحقائق المذكورة ترفض الاعداء عن الاحتلال. وجد الجيش الجورجى فى مساحة أبخازيا على أساس طلب اللجنة الشعبية لأبخازيا ومعاهدة ١١من يونيو.

بعد فشل المغامرة البولشيفية اتجه المنفصلون نحو القوة الضدبولشيفية وهى الحرس الأبيض ورأسها م. أليكسيف وأ.دينيكين. عقدت فى ٢٥-٢٦ سبتيمبر المباحثات بين مندوبى حكومة جورجيا وجنرالي الحرس الأبيض، واختصت فى الأغلب موضوع سوتشى ولكنها لم تأت إلى أى نتائج. أظهرت المباحثات أن الحرس الأبيض الروسى اعتمد فى تعارضهم ضد جورجيا على القوات الانفصالية فى أبخازيا.

وأصحبت هذه الخطورة بعد قليل يقينا. اتخذ المنفصلون المشجعون من قبل الحرس الأبيض محاولة الانقلاب السياسى فى التاسع من أكتوبر فى سوخومى واستقالة فارلام شارفاشيدزه – وهو رئيس اللجنة الشعبية وغيرهم من اللجنة. من أجل طلب رئيس اللجنة وبعض أعضائه رفضت الحكومة الجورجية اللجنة الشعبية وحبس المتآمرين وثم عين انتخابات العضو التمثيلى. أثناء الحملة الانتخابية أضطرت جورجيا إلى أن تقاوم الحرس الأبيض الهاجم من سوتشى. أخذ الحرس الأبيض جاجرا واستقر عند نهر بزيفى. رغم ذلك فى ١٣ فبراير سنة ١٩١٩تمت الانتخابات الدمقراطية الأولى فى تاريخ أبخازيا. اللجنة الحديثة الانتخاب برئاسة أرزعان (ديميطرى) إمخوفار قبل فى العشرين من مارس ١٩١٩ قانون الحكم الذاتى لأبخازيا. وحسب المادة الأولى له أُعلن: «أبخازيا جزء من جمهورية جورجيا الدمقراطية وتدخلها كوحدة ذات الحكم»

(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историчекая область Грузии, с. 435).

فى مايو ١٩١٩ اتخذت اللجنة الشعبية قرارا عن تكوين مفوضية (حكومة) رأسها أرزاعان (ديميطرى) إمخوفاري. ولم تلبث مقاطعة سوخومى أن تعيد تسمية أبخازيا، أما اللجنة الشعبية للأبخاز فسميت اللجنة الشعبية لأبخازيا فرأسها من جديد فارلام شارفاشيدزه.

كانت السنوات ١٩١٩-١٩٢١ سنوات تنفيذ الحكم الذاتى واقعيا، وتأسيس المؤسسات الحكمية وتقويتها، وطرد الحرس الأبيض الروسى من جاجرا (إبريل ١٩١٩)، والعمل على مشروع دستور أبخازيا. ومع ذلك، عارض البولشيفيون ومؤيدوهم الحكومة فى محاولاتهم لزعزعة الاستقرار. فى يناير ١٩٢٠ تحسن الوضع نتيجة اعتراف بجورجيا المستقلة من قبل المجتمع الدولى، وعقد الاتفاقية بين روسيا وجورجيا فى السابع من مايو، واعترفت روسيا السوفيتية بحرية جورجيا. حانت الظروف المناسبة للسعى إلى الاحتفاظ على السلامة الاقليمية وتوطيدها. حسب البند الأول من الاتفاقية الروسية الجورجية وقع الحد بين الدولتين على نهر فسو وامتدت إلى جبل أخاختشا. والتزمت روسيا أن تعترف بمنقطة جاجرا كمنطقة تدخل جورجيا دون شروط، وأيضا تبيليسى، وكوتايسى، وباتومى بمحافظاتها التى دخلت الامبيراطورية الروسية، كذلك محافظات سوخومى وزاكاتالا»

(Оккупация и фактическая аннексия Грузии. Документы и материалы. Тбилиси, 1990, с. 75-76).

فى الفترة ما بين ١٩١٨-١٩٢١ تكونت فى أبخازيا وحدة سياسية ضمن جورجيا لها لجنة شعبية انتخبت بطريقة ديمقراطية، فى ٢١ فبراير ١٩٢١صدقت الجمعية التأسيسية على القانون الدستورى عن «مادة ابخازيا الذاتية الحكم». فى المسائل الحكمية منحت لأبخازيا حقوق واسعة.

١.٤ ضم جورجيا من قبل روسيا البولشيفية وأبخازيا السوفياتية

قامت روسيا بكسر معاهدة السابع من مايو عام ١٩٢٠، فاحتلت جورجيا ثم ضمها فى السنة ١٩٢١. عقدت المباحثات فى ٢٨ مارس من نفس العام غرض حلول مسألة أبخازيا، وعقدها ممثلو العضو الاستعمارى الاحتلالى وهم سيرجو أُرچونيقيدزه، وشالفا إيلياڤا، وملكيا طوروشيليدزه، ومعهم اشترك فى المباحثات اِفريم إشبا ونيسطور لاقوبا اللذان وصلا من تركيا حيث قاما بالتحريض الشيوعى بين الأبخاز المهارجين والقوقاسيين الآخرين، والذين أوجبهم الشيوعيون الروس. هم أنجزوا عمليات جاسوسية لصالح روسيا هناك (برأى مطلعين، إن المنفصلين الأبخاز المعاصرين أيضا، يقومون بنفس الأعمال الجاسوسية فى كل بلاد يصلون إليها حاملين الجوازات الروسية). فى مشاورات باتومى قرروا أن يعلنوا جمهورية أبخازيا السوفيتية مؤقتا حتى انتخاب العضو التمثيلى. وكانت عبارة كل الحرية لأبخازيا قبل تلك الانتخابات، فى أنها قيدت من قبل ليس الحكومة الجورجية، بل من قبل مكتب اللجنة الرئيسية القوقاسى للحزب الشيوعى لروسيا المقر فى تبيليسى ومسؤوليه (برئاسة سيرجو أُورچونيقيدزه).

الانفصاليون وحاموهم – رؤساء العليا لروسيا المعاصرة وضمنهم الرئيس فلاديمير بوتين، طوعا أو كرها، يزوّرون التاريخ. هم يكذبون مقصودا على ناسهم والمجتمع الدولى، إذ يزعمون أن بعدما أصبحت شيوعيا، نالت أبخازيا استقلالها، وأصبحت جمهورية مستقلة، وكأن يوسف سطالين والذى كان جورجيا، هو من أدخلها لاحقا إلى حدود جورجيا كجمهورية ذات الحكم.علينا أن نلاحظ بالنسبة لذلك أن فى السنوات الأولى

للحكم الشيوعى، وجد حتى ضمن روسيا وخاصة فى مناطقها الجنوبية عديد من الجمهوريات الشيوعية «المستقلة»، مثلا الجمهورية الترجية الشيوعية، والجمهورية الدونية الشيوعية، وجمهورية البحر الأسود الشيوعية، والجمهورية العوبانية الشيوعية، وجمهورية عوبان-البحر الأسود الشيوعية، وجمهورية ستاوروبول الشيوعية، وجمهورية القوقاس الشمالى الشيوعية، وجمهورية الشرق الأقصى. وضمن هذه الجمهوريات المستقلة مؤقتا، كانت القرم (أكرانيا)، وعاراباخ (أذربيجان) الخ. بمساعى سطالين، حصلت «الجمهوريات» الدخيلة إلى روسيا وأكرانيا وأذربيجان على وضع الوحدات الإدارية أو الوحدات الذاتية الحكم.

وحصل نفس الشىء فى جورجيا أيضا. مؤسف أن بعض العلماء لا يأخذون فى الاعتبار هذا الواقع الأمر الذى ضل بعض العلماء الأروبيين أيضا وبينهم مثلا، أنجيليكا نيوسبيرجر العالمة الألمانيا فى علم العدل. فتتكلم العالمة المحترمة دون أن تدرس واقع الأمر الحقيقي، عن تذليل حالة أبخازيا من قبل سطالين
(Angelika Nußberger. Das volkerrecht. Geschichte. Institutionen. Perspektiven. Bonn, 2010, ȣ3. 45).

إن الادعاءات مثل هذه بعيدة عن الحقيقة كل البعد. فى عشرينات القرن العشرين لا تذكر فى أى وثيقة رسمية أو غير الرسمية من قبل رؤساء روسيا الشيوعية أو أى عضوها المركزى الحكمى، وضمنهم حتى ليس فى كلام ألقاه ف. لينين، جمهورية أبخازيا المستقلة بين الجمهوريات «المستقلة». تم تمويل أبخازيا من جورجيا، وكانت الأمور لحكومة جورجيا الشيوعية ترسل لإنجازها إلى أبخازيا كذلك، الخ. فى الخامس من يوليو عام ١٩٢١ اتخذ مكتب اللجنة الرئيسية للحزب الشيوعى لروسيا قرارا

عن استحسان المساعى لتدخل أبخازيا جورجيا بحال جمهورية ذاتية الحكم. وعلى أساس هذا القرار وعلى أساس تقرير ن. لاقوبا أعلن فى ٢٣ يوليو مباحثات العمال المسؤولين لأبخازيا إدخال أبخازيا السوفيتية فيديراليًا إلى جورجيا نظرا للظروف الاثنوجرافية والتاريخية والمعيشية

(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии, с. 118, 475)

ويعنى ذلك أن العلاقات المستجدة بين تبيليسى وسوخومى تشكلت واقعيا بالوجه القانونى.

تباينا عن الجمهوريات المستقلة رسميا (مثلا جورجيا، أذربيجان، أرمينيا) لم يكن لأبخازيا تمثيلية فى موسكو. أبلغ المفوض (الوزير) فى الأمور الوطنية إ. سطالين فى ١ سبتمبر ١٩٢١ اللجنة التنفيذية لروسيا الشاملة أن «أبخازيا جزء ذاتي الحكم لجورجيا المستقلة، ولذلك ليس لها ممثل خاص فى روسيا ولا يجوز أن يكون لها الممثل، فبالتالى لا تقدر أن تحصل على الرصيد من الجمهورية الروسية الفيديرالية الاشتراكية السوفيتية

(Ментешашвили. Исторические предпосылки современного сепаратизма в Грузии. Тбилиси, 1998, с. 67).

فى السنة ١٩٢١ أيضا مثلما سبق الذكر، كانت أبخازيا تحصل على الرصيد من حكومة جورجيا السوفياتية ولم تكن لها تمثيلية فى موسكو، لأن موسكو اعتبرها جزء جورجيا. فى ١٤ نوفمبر ١٩٢١ رئيس أبخازيا إ. إشبا رفع مسألة دخول أبخازيا المباشر فى الفيديرالية القوقاسية الذى كان حينذاك فى مرحلة التكوين. ردا على ذلك فى ١٦ نوفمبر قرر مكتب القوقاس للجنة الرئيسية لحزب روسيا الشيوعى: «نقترح على الرفيق إشبا أن يقدم قراره النهائى عن دخول أبخازيا على اسس تعاقدية ضمن فيديرالية جورجيا أو على أسس مقاطعة ذات الحكم فى روسيا الاتحادية

(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии, с. 482).

بالتالى، حسب المعايير السوفياتية، كان لأبخازيا أن تتطالب ليس إلي حالة جمهورية اشتراكية سوفيتية، أو جمهورية ذاتية الحكم، بل مقاطعة ذاتية الحكم فقط. ولكن فى حدود جورجيا كان فى أغراض البعض أن تأخذ أبخازيا وضع جمهورية اشتراكية سوفيتية لتصبح رافعة التأثير على جورجيا محبة الحرية.

فى ١٦ من ديسيمبر ١٩٢١ عقدت بين جورجيا وأبخازيا انطلاقا من «الصلات العميقة الوطنية المشتركة» اتفاقية عن العلاقات العسكرية والاقتصادية-المالية. ونصت الاتفاقية عن «دخول أبخازيا فى كل المنظمات الاقليمية وخاصة فى فيديرالية الجمهوريات القوقاسية بطريقة جورجيا» وليس مباشرة. يبدو من ذلك أيضا أن حسب اتفاقية ١٦ ديسيمبر لم يحصل اتحاد جمهوريتين متساويتين، بل جمهورية واحدة (أبخازيا) دخلت حدود جمهورية أخرى (جورجيا). فى السنوات التالية عندما نشأت الأعضاء التمثيلية «الاختيارية»، صدقت على هذه الاتفاقية رسميا أيضا. المؤتمر الأول للعمال وفلاحين وجنود الجيش الأحمر لجورجيا فى ٢٨ فبراير ١٩٢٢ صدق على دستور نصت مادته الأولى للباب الأول: «تدخل فى جمهورية جورجيا الاشتراكية السوفياتية على أسس حرة لتقرير المصير، جمهورية أدجارا الاشتراكية السوفياتية الذاتية الحكم، ومحافظة أسيتيا الجنوبية الذاتية الحكم، وجمهورية أبخازيا الاشتراكية السوفيتية الذاتية الحكم وترتبط الأخيرة بجمهورية جورجيا الاشتراكية السوفيتية على اساس الاتفاقية الخاصة المعقودة بين الاثنتين»

(Образование Союза Советских Социалистических Республик. Сборник документов. Москва, 1972, с. 237-238).

مثلت أبخازيا فى عشرينات القرن العشرين قانونيا وواقعيا جمهورية ذاتية الحكم، ولذلك لم تكن موضوع فيديرالية القوقاسيا الجنوبى، ولم تكن موضوع الاتحاد السوفياتى التى تكونت فى السنة ١٩٢٢. رئيس فيديرالية القوقاسيا الجنوبى ج. أُرچونيكيدزه، الذى وافق على إعلان جمهورية أبخازيا الاشتراكية السوفياتية نطق فى المؤتمر الثانى فى ٢١ديسيمبر ١٩٢٣: «على الأبخاز أن يعرفوا أن أبخازيا جمهورية ذاتية الحكم ولها حقوق متساوية فى اتحادنا

(Съезд Советов Абхазии. Сборник документов и материалов. 1922-1923. Сухуми, 1959, с. 153).

حسب الدستور الأول (العام ١٩٢٤) للاتحاد السوفيتى أيضا كان لأبخازيا وضع جمهورية ذاتية الحكم. ينص البند الخامسة عشر للباب الرابع له:»جمهوريتي أدجارا وأبخازيا الذاتيتي الحكم، ومقاطعات أوسيتيا الجنوبية وعاراباخ الجبلية وناخيتشيفان توفد كل منها إلى مجلس الامم مندوبا واحدا

(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии, с. 488-489).

بالتالى، الواقع يبقى واقعا، رغم إعلانات الرؤساء روسيا المعاصرة والمنفصلين المزورين والذين يضلون الاجتماع الدولى: حسب الدستور الأول للاتحاد السوفياتى المعمول به فى السنوات ما بين ١٩٢٤-١٩٣٦ كان لأبخازيا وضع جمهورية ذاتية الحكم ومثلها فى المجلس الأمم التابع للمجلس الأعلى (العضو التشريعى) موفود واحد وذلك لكونها وحدة إدارية ذاتية الحكم أى لأنها لم تكن دولة.

فى دستوري جورجيا وأبخازيا رغم ذلك كانت أبخازيا مذكورة كالجمهورية الاشتراكية السوفيتية التعاقدية. كثيرا ما يستدعى المنفصلون ما يسمى بدستور أبخازيا عام ١٩٢٥. من وجهة النظر القانونى لم تكن هنالك أى دستور. نتكلم الآن

عن «دستور» قبله المؤتمر الثالث لمجالس أبخازيا فى الأول من إبريل ١٩٢٥. لأن أغلبية النواب كانوا أمّيين، قبل المجلس الدستور دون أى تحليل مقبل فاتضح أن الوثيقة تعارض دساتير اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وفيديرالية قوقاسيا الجنوبى وجورجيا. نتيجة ذلك، لم ينشر ما يسمى بالدستور، ولم يكن معمولا به إطلاقا. بل ومزيد من ذلك: حسب بيان وارد فى مجلة مواد المجالس الثالثة لأبخازيا (سوخومى، ١٩٢٥)، قررت المجالس أنه لازم أن يوقَـف العمل على مشروع الدستور، وعلى الدستور أن يتوافق مع دستوري قوقاسيا وجورجيا.

ما كان دستور أو مشروع دستور للعام ١٩٢٥؟ فى الغالب كرر هذا الدستور دستور جورجيا ومع ذلك احتوى على مواد مثيرة الجدل تعارض بعضها البعض. نص الجزء الثالث والرابع عن العلاقات مع جورجيا: «جمهورية أبخازيا الاشتراكية والسوفياتية انضمت على أساس عقد خاص إلى جورجيا، وبواسطتها تدخل الجمهورية الفيديرالية الاشتراكية القوقاسية الجنوبية، وتدخل بواسطة الأخير اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية.» أما البند الخامس للجزء الثانى فنص أن أبخازيا كدولة سيادية احتفظت على حق الانفصال الحر عن الفيديرالية القوقاسية والاتحاد السوفيتى. ولكن لأن أبخازيا فى الحقيقة لم تكن دولة سيادية، لم تدخل مباشرة لا الفيديرالية القوقاسية ولا الاتحاد السوفياتى، فلم يكن لها حق الانفصال عنهما. برأى رئيس أبخازيا، نيستور لاقوبا، كان هذا «غباء دستوريا». ومن أجل تعارض هذا الغباء مع دساتير المنصب الأعلى، قرر الأعضاء الحكمية لفيديرالية قوقاسيا وجورجيا فى الأول من إبريل ١٩٢٥ أن يعلن أن الدستور هو مشروع الدستور، وضرورى إعادة العمل عليه. وممتع أن هذا «الدستور» الذى كأنه أعطى أبخازيا الحق فى الانفصال الحر

عن الاتحاد السوفيتى والفيديرالية القوقاسية، لم ينص عن حقها فى الانفصال عن جورجيا أو التراجع عن الاتفاقية الحليفية.

تم إعادة العمل على دستور أبخازيا فى السنة ١٩٢٦ ففى ١١-١٦ يونيو الجلسة الثالثة للجنة التنفيذية الرئيسية لجورجيا التى أقيمت فى سوخومى، قبلت دستور جورجيا. اختص جزؤه الثانى بالعلاقات مع أبخازيا. فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٢٦ صدقت الجلسة الثالثة للجنة التنفيذية الرئيسية لأبخازيا على دستور أبخازيا الذى دخله الجزء الثانى من دستور جورجيا دون أى تصليحات. وبالتالى نص الدستوران أن «أبخازيا على أساس الاتفاقية الخاصة تدخل جمهورية جورجيا الاشتراكية السوفياتية وبواسطتها تدخل جمهورية قوقاسيا الجنوبية الاشتراكية السوفياتية». حد الدستور الاشتراكى شكليا ولكن فى نفس الوقت ملحوظا بين حقوق تبيليسى وسوخومى. عملت اللجان الشعبية (وزارات) للداخلية والعدل والتعليم والصحة والزراعة وتوفير الاجتماعى مستقلا عن اللجان المناسبة لجورجيا، ولكنها كانت ملزَمة على أن تبلغ بعضها البعض عن أعمالها. خضعت مجلس الاقتصاد الشعبي لأبخازيا حكومة أبخازيا ومجلس الاقتصاد الشعبي لجورجيا فى نفس الوقت. دخل حكومة أبخازيا أيضا مندوبو اللجان الشعبية لمراقبة المال والعمل والعمال والفلاحين لجورجيا. هم خضعوا اللجان المناسبة لجورجيا ولكن فى نفس الوقت كانوا ملزمين فى أن يرفعوا تقريرهم أمام حكومة أبخازيا كذلك. كما نرى، تغيب أى آثار الاستقلال فى دستور أبخازيا الأول للسنة ١٩٢٦. وجدير بالملاحظة أيضا أن أبخازيا ومثلها مثل جورجيا كلها، طاعت لفيديرالية قوقاسيا الجنوبية والأعضاء الحكومية للاتحاد السوفياتى ولم يكونا حرتان فى اتخاذ القرارات.

فى المناسبة لدستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية،

فى ١١ فبراير ١٩٣١ غيّر مؤتمر لجان أبخاريا الرابع تسمية الجمهورية ابخازيا الاشتراكية السوفيتية وسماها جمهورية أيخازيا الاشتراكية السوفيتية الذاتية الحكم ولكن أبخازيا بهذا الاسم الجديد أو دون ذلك كانت وبقيت ضمن جورجيا، ولم تتغير الحقوق المحددة فى دستور عام ١٩٢٦. ولذلك فإن كل أقاويل عن نقل أبخازيا المستقلة إلى الانضمام فى جورجيا من قبل سطالين لا إسناد لها. إن كل هذه أسطورة من أساطير مزوري التاريخ.

جرت فى ثلاثينات القرن العشرين فى الامبراطورية السوفيتية عملية تركيز الحكم وضمن هذه العملية فى ٧ يناير ١٩٣٥ بقرار لمؤتمر لجان أبخازيا السابع صدقت على تحرير جديد لدستور أبخازيا الذى نص أن كل لجان الجمهورية الذاتية الحكم خضعت لجان جورجيا المناسبة (المادة ٤٢). اختتمت عملية تأسيس التركيزية والشمولية فى الاتحاد السوفيتى فى الخامس من ديسيمبر ١٩٣٦ باتخذ الدستور السطالينى ما تلا بقبول الدساتير التوحيدية فى كل جمهوريات الاتحاد السوفياتى. بالتالى قبلت كل من جورجيا وأبخازيا دستورا مثل ذلك. حسب الدساتير الجديدة لم تبق أى مجال للحياة الاجتماعية تحت حكم الجمهوريات.

جرت تأسيس النظام الاشتراكى السوفيتى وبناء الاشتراكية فى أبخازيا فى إطار الاتجاهات التوحيدية الشمولية. منعت أى أنواع من «الهواة». بالنسبة للوضع فى ثلاثينات القرن العشرين من هذه الناحية علينا أن نلاحظ التالى: الاضطهاد السياسى فى أبخازيا، وإصلاح الكتابة الأبخازية التى اختتمت فى السنة ١٩٣٨ (نقلت الكتابة من الألفبائية اللاتينية إلى الألفبائية الجورجية)، وإصلاح المدارس تمت فيما بين العامين ١٩٤٥-٤٦ (نقل التدريس فى المدارس الأبخازية من اللغة الروسية إلى اللغة الجورجية مع الاحتفاظ على تدريس اللغة الأبخازية بل

وتقويته)، توطين سكان أوذيوا بالزلزال من المناطق المجاورة إلى أبخازيا (تجنّس جزء منهم اللغة الأبخازية والآن يرجعون إلى القوم الأبخازى). الاضطهادات السياسية كما هو معروف، كانت إجراءات سوفيتية شاملة. نقل الكتابة فى ذوات الحكم على كتابات الجمهوريات الاتحادية ونقل التدريس فى المدارس إلى لغات الجمهوريات الاتحادية الرسمية جرت فى الاتحاد السوفيتى كلها، تبع تعليمات أعضاء الحكم الرئيسية. ولذلك يكون مفيدا وعادلا إذا وجه المنفصلون اعتراضاتهم ليس نحو الجورجيين بل نحو الامبراطورية الروسية التى لا تزال تستمر تجنّس الأهل أفسوا. معروف دوليا أن توطين السكان من المناطق المجاورة والذين اشتركوا اشتراكا فعالا فى تطوير أبخازيا الاقتصادى والثقافى، أيضا حصل تحت تعليمات موسكو.

إن لمرحلة ما سميت كمرحلة «التدفيء» بعد وفاة سطالين لجورجيا علامة تراجيدية. جرى حينذاك فى الاتحاد السوفيتى نقد نشيط ضد تقديس فرد سطالين. ولأن القائد كان من أصل جورجى توبع النقد الذى كان أحيانا عادلا، بتحشرات ضدجورجية مذلة. أقيمت فى العلاقة مع ذلك فى تبيليسى مظاهرات شباب الاحتجاجية السلمية. فى التاسع من مارس عام ١٩٥٦ على أساس الأمر الصادر من كريمل، غار العساكر الروس على المتظاهرين الشباب السلميين وأبادوا كثيرا منهم جسديا. سمع فى هذه المظاهرات دعوات عن إعادة استقلال جورجيا. فى تلك الأحيان عملت فى جورجيا منظمات تحت الأرضية المصارعة من أجل حرية جورجيا (وأعضاؤها زفياد جامساخورديا، وميراب كوستافا وغيرهما).

بعد الظواهر التراجيدية للسنة ١٩٥٦ نشطت موسكو الضغط على تبيليسى. أتهمت منظمة جورجيا الشيوعية فى إظهار

السوفينية، ومحاولة تجنس الأبخاز وأوسيتيين والأرمان (راجع تقرير رئاسة اللجنة الرئيسية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية لـ١٠ يوليو ١٩٥٦). أصبح هذا الاتهام الكاذب الاستفزازى علامة للمنفصلين. لا ريب في أن كريمل بعينه الذى قام باستفزاز المظاهرات الضدجورجية فى أبخازيا فى السنوات ١٩٥٧، و١٩٦٧، و١٩٧٧ رغم أنهم استخدموا علة لذلك فى الحالتين الأولى نشر العلماء الجورجيين الأعمال غير المقبولة للمنفصلين، أما فى الوضع الثالث فكان عذرا اتخاذ الدستور الجديد. قام كريمل بيده الواحدة باستفزاز التظاهرات الضدجورجية، أما بالأخرى – فحاولت تسوية الأمور (بطريقة إنجاز التغييرات الكادرية المرضية للمنفصلين) بطريقة تجعل أساسا للتظاهرات أكبر فى المستقبل عند اللزوم. وحانت هذه الفرصة المناسبة فى مرحلة «بيريسترويكا».

١.٥ استعادة استقلال جورجيا الوطنى ومساعى موسكو فى استخدام «ورقة أبخازيا الرابحة»

دفعت فى الجزء الثانى من ثمانينات القرن العشرين التغيرات الديمقراطية التى أنجزت برئاسة ميخائيل جورباتشوف تطور وازدهار الحركات الوطنية التحررية. وقفت جورجيا ضمن البلدان الأخرى فى طليعة الصراع من أجل الحرية. حاول كريمل أن ينال النتائج المرغوبة فيها خلال إطلاق النار ضد المتظاهرين السلميين فى التاسع من إبريل عام ١٩٨٩، ولكن الأوضاع انتهت إلى شيء آخر تماما. لم تعط التظاهرات المخططة الضدجورجية فى يوليو ١٩٨٩ للمركز الامبريالى كثيرا. رغم خدعات كريمل، تقدمت جورجيا خطوة خطوة إلى الحرية. فازت فى الانتخابات

التعددية الحزبية البرلمانية التى جرت فى ٢٨ اكتوبر ١٩٩٠، الحركة الوطنية التحررية الأمر الذى تلاه سقوط الحكم السوفياتى. لم تشترك جورجيا فى ١٧ مارس ١٩٩١ فى الاستفتاء من أجل الاحتفاظ على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية. جرى الاستفتاء بانتهاكات عديدة. رفعت منطقة جالى الانتخابية الجورجية والتى عاش فيها ٢٠ ٪ من سكان أبخازيا كلها بعذرة ما سميت «بعدم التجهز» بتعليمات موسكو عن الانتخابات من أجل الحصول على النتائج المرغوبة فيها. ما عدا ذلك، كونت كمية مؤيدي الاحتفاظ على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية عددا فضوليا- ١١٥-١٢٠ ٪ (؟!) من المنتخبين. اتضح للجميع ولكريمل أيضا أن الاستفتاء فى أبخازيا فشلت وكانت تلك إشارة خطرة لحكم جورباتشوف «الديموقراطى».

فى ٣١ مارس ١٩٩١ جرت فى أبخازيا استفتاء آخر بنجاح كبير والذى أهدى لاستعادة استقلال جورجيا الوطنى. قرر رؤساء أبخازيا حينئذ بقيادة ف. أردزينبا، ألا يشتركوا فى الاستفتاء ولكن فى نفس الوقت لم يمنعوا إجراءه، ربما كان ذلك قرارا معقولا فى ذلك الوقت. تكتل المنظمات السياسية والاجتماعية «سويوز» (الحلف) الذى أيد الاحتفاظ على الاتحاد السوفيتى، لم يشترك فى الاستفتاء. ورغم ذلك اشترك فى هذا الاستفتاء ٦١.٢٧٪ من العدد الإجمالى للمنتخبين (٣٤٧١٧٥ نسمة)، أى أكثر بكثير من السكان المحليين الجورجيين (٤٥٪) . أيد ٩٧،٧٣٪ من المشتركين، أى ٦٠٪ من العدد الإجمالى للمنتخبين كلهم، إعادة حرية جورجيا الوطنية. على أساس نتائج الاستفتاء فى ٩ إبريل ١٩٩١، اتخذ برلمان جورجيا وثيقة عن إستعادة الحرية الوطنية فى جورجيا. فى ٢٦ مايو أجريت انتخابات رئيس جورجيا الأول فانتهت إلى نفس النتائج تقريبا فى أبخازيا.

فى فترة قصيرة، أظهرت نتائج الاستفتاء والانتخابات أن أغلبية سكان أبخازيا المتنوعين فى أصولهم وضمنهم جزء أبخاز الأصليين أيدوا ليس الانفصالية، وليس الاتحاد السوفيتية، بل توحيد جروجيا واستعادة حريتها الوطنية.

١.٦ اجراءات موسكو الجزائية ضد جمهورية جورجيا المستقلة والحرب فى أبخازيا

حصل إظهار سياسة الحكومة الجورجية الحذرة والسلمية والوسطية بالنسبة لأبخازيا مرة أخرى فى صيف ١٩٩١. حينذاك جرى العمل على قانون جديد لانتخاب المجلس الأعلى لأبخازيا باشتراك الطرفين الجورجية والأبخازية. أدخل بعض التغييرات فى دستور الجمهورية الذاتية الحكم. توزع ٦٥ من وثائق المندوب بين مقاطعات ذات وثيقة مندوب الواحدة والتى تكونت بحيث مبدأ عرقى وبينها نال الأبخاز على ٢٨ مندوب، والجورجيون على ٢٦، والجنسيات الأخرى – على ١١. توزعت الوثائق بطريقة تمنع عن الحصول على الأغلبية المؤهلة لطرف واحد واتخاذ القرارات المنفردة عن دستور أبخازيا أو عن أمور أخرى متعلقة بوضع أبخازيا. لكان من المستحيل اتخاذ قرار شرعى بل وحتى إجراء الاستفتاء، وتعيين أعضاء الحكومة لأن كل ذلك تطلب وفاق الأغلبية المؤهلة.

توزعت وثائق المندوبين فى المجلس الأعلى وفى المناصب العلي. على سبيل المثال: كان ضروريا أن يعينوا كرئيس المجلس الأعلى أبخازيًا، ونائبه الأول جورجيًا، ورئيس حكومة أبخازيا – جورجيًا، ونائبه الأول – أبخازيًا. جرت إصلاحات دستورية مهمة. مثلا: غير فى دستور أبخازيا المصطلح الجمهورية

الجورجية الاشتراكية السوفيتية، بمصطلح جمهورية جورجيا. وكان ذلك تنازلا مهما يعنى أن أبخازيا تؤكد رسميا أنها إذا دخلت قبل ذلك جزء جورجيا الدخيلة في الاتحاد السوفياتية، تصبح من الآن جزءا لجمهورية جورجيا المستقلة. لأن تقييم أهمية هذا التعديل فى دستور أبخازيا، علينا أن نذكر تعليمات كريمل الغريبة والتى تبناها المنفصلون، أن تبع الدستور المعمول به دخلت أبخازيا جورجيا السوفياتبة والتى دخلت الاتحاد السوفيتى ولكنها لم تكن جزءا لجورجيا المستقلة. إن استبدال المصطلح الجمهورية الجورجية الاشتراكية السوفياتية بمصطلح جمهورية جورجيا فى دستور أبخازيا أنهت تلك الغمر. دخل دستور أبخازيا أيضا التعديل أن اتخاذ القرار عن وضع أبخازيا السياسى القانونى تطلب أكثر من ثلثى الأصوات، وأن القرار يوقع بالأحرف الأولى بعد أن يصدق عليه المجلس الأعلى لجورجيا ولأبخازيا فى نفس الوقت (المادة ٩٨). يمكننا القول أن سياسة حكومة جورجيا السلمية فازت وعلاوة على ذلك فازت بطريقة جعلت من الفائزين كلا الطرفين.

ولكن كريمل كان قلقا من سعى جورجيا في طريق الاستقلال. تأكد كريمل نتيجة استفتاءات ١٧ و ٣١ مارس ١٩٩١، وانتخابات ٢٦ مايو الرئاسية أنه سيفشل فى أن يعوق جورجيا فى محاولاتها ويفصل عنها أبخازيا بطرق سلمية ديمقراطية. وأثار قلق المركز الامبريالى أن تبيليسى وسوخومى تمكنا من تسوية العلاقات المتوترة بدون تدخل كريمل، يعنى لم تلعب «ورقة أبخازيا الرابحة» له. فأدركوا فى كريمل بسهولة أن إعادة السيطرة على جورجيا إنما ممكن بطريقة إطاحة رئيس جورجيا ونشوب الحرب فى أبخازيا. ولكن حكومة الامبراطورية المركزية لم تكن فاضية لجورجيا قط.

جرى فى موسكو صراع شرس بين المركز الاتحادي (ميخائيل جورباتشوف) ورئاسة الفيديرالية الروسية (بوريس إلتسين). انتهى الصراع بفوز إلتسين وتفكك الاتحاد السوفيتى. تشكل تفكك الاتحاد السوفيتى رسميا فى الثامن من ديسيمبر ١٩٩٢، أما بعد فى ٢١ ديسيمبر فى ألما-أطا فوقع ١١ رئيسا للجمهوريات السوفيتية السابقة على الإعلان عن ذلك. أعلن عن تفكك الاتحاد السوفيتى ونشأة رابطة الدول المستقلة. بها ألغيت العقوبة الرسمية الرئيسية فى طريق تكوين الحرية والاستقلال للجومهوريات السوفيتية السابقة ولكن لكريمل كانت أغراض أخرى.

١.٧ إجراءات موسكو الجزائية ضد جورجيا المستقلة والحرب فى أبخازيا

بعد تفكك الاتحاد السوفيتى حان لموسكو وقت فارغ ليستولى أمور جورجيا «العصية». وكان عذرة لذلك عدم موافقة تبيليسى فى ألما-أطا عن اشتراكها فى رابطة الدول المستقلة. فقرر كريمل أن يعقب جورجيا بقساوة. باشتراك فيديرالية روسيا النشيطة فى العامين ١٩٩١-٩٢ حصل فى تبيليسى انقلاب. بعد إطاحة حكم زفياد جامساخورديا القانونى أسس حكم غير الشرعى لـ إ. شيفاردنادزه المؤقت (المجلس الوطنى) أما البلد فشمله الفوضى والتعارض الأهلى.

تنشطت القوات الانفصالية على خلفية التعارض الأهلى الاصطناعى. بتشجيع وتأييد صارح من قبل كريمل كسر رؤساء أبخازيا دستور جمهورية أبخازيا الذاتية الحكم إذ اتخذوا قرارات الضددستورية. أسست تشكيلات عسكرية غير الشرعية تحتوى

على الجنود من الأصل الأبخازى، فألمحت على أسلحتها. غرض انفصال أبخازيا، اتخذ فى ٢٣ يوليو ١٩٩٢ المجلس الأعلى لأبخازيا دون الأغلبية المؤهلة أى بريطقة تخالف القانون، قرارا عن إلغاء الدستور المعمول به، وإعادة دستور ١٩٢٥ المولود ميتا (وقد سبق ذكره). عجل هذا القرار عملية الانشقاق فى مجلس أبخازيا الأعلى، وفى المجموع، أدى إلى الحرب.

لا ريب فى أن الانقلاب فى جورجيا والحرب فى أبخازيا كانتا حلقتين من سلسلة واحدة وهما جزءا مشروع كريمل من أجل إعادة جورجيا إلى أمعاء الامبراطورية الروسية ومنع اتحادها وتذليل الدولة الجورجية.

نشبت الحرب فى أبخازيا فى ١٤ أغسطس ١٩٩٢ ووضعت أوزارها فى ٣٠سبتمر ١٩٩٣. وكانت تعارضا روسيا-جورجيا دمويا، لو قلنا مستخدمين المصطلحات المعاصرة، فإن تلك الحرب كانت حرب روسيا المختلطة ضد جورجيا.

معروف أن نتائج الحرب أصبحت كارثة لأهل أبخازيا والدولة كلها. مات عشرات آلاف من السكان، واضطر ثلاثة أرباع من السكان القانونيين أن يغادروا بيوتهم. أصبح لاجئين تقريبا ٣٠٠ ألف جورجي، وتقريبا ٤٠ ألف أبخازي (أى ما يقرب من نصف السكان الأبخاز)، وآلاف اليونانيين، والإستونيين، والأكرانيين، والعبريين، وجزء من الروس الخ. حسب تعداد جرى فى يناير ١٩٩٢ أى قبل الحرب بلغ عدد سكان أبخازيا ٥٣٥ ألف نسمة. وفى السنة ١٩٩٧ انخفض عددهم حتى ١٤٥٩٨٦ نسمة. لم تتغير المعطيات فيما بعد بكثير رغم أن إحصائيات المنفصلين الرسمية تعلن عددا غير واقعيا – ٢٤٠٧٠٥ نسمة. حسب ادعاءاتهم كأن ١٢٢٦٩٠ إنسانا من هؤلاء السكان ينتمى إلى الأصل الأبخازى، ولكن ذلك كذب صارح. فى الحقيقة انخفض عدد السكان

الأبخاز ما قبل الحرب (٩٤٧٦٧ نسمة) إلى ٥٣٩٩٣ (معطيات السنة ١٩٩٧) وثم، بطرق اصطناعية وخاصة بطريقة توطين المهاجرين، ازدادت الكمية ولكن الازدياد ليس ملحوظا. لا يقل الأرمان والروس بحيث العدد عن الأهل الأبخازى.

فى الإجمال، نتيجة الحرب، انخفضت كمية سكان هذه الجمهورية الذاتية الحكم بـ ٣٨٨٠٧٥ نسمة أى بـ ٧٢،٧٪ أى بأكثر من ثلاث مرات (٣،٧ مرات). ومن مسهم الضرر أكثر بين السكان من أصول مختلفة هم الجورجيون، قبل يناير ١٩٩٢ كان عددهم ٢٤٤٨٧٢ نسمة (حتى ولو كانت المعطيات منخفضة ظاهرا) أما بعد التصفية العرقية (حتى العام ١٩٩٧) فبقى ٤٣٤٤٢ نسمة. بالتالى إن كمية السكان من الأصل الجورجي انخفضت على الأقل بـ٢٠١٤٣٠ نسمة، أى ٢، ٨٢ ٪، أى بـ ٦٤، ٥ مرات.

ليست للأهل الجورجى الذين بقوا فى أبخازيا حقوق ابتدائية. وضعهم هناك وضع «الأجانب» ويتمتعون بحق إقامة محدودة. بالتالى لا يستطيعون أن يشتركوا فى الحياة الاجتماعية، إنهم محرومون من حق النشاط الاقتصادى، والنقل الحر، والتعليم بلغتهم، وحقوق أخرى يوفره القانون الدولى لكل إنسان. تنشر وزارة الخارجية الجورجية تقريراتها عن ذلك كل ربع سنة وترفعه إلى المنظمات الدولية

(https://www.google.ge/#q=Third+Quarterly+Report+(July+-+September+2016)+of+the+Ministry+of+Foreign+Affairs+of+Georgia+on+the+Human+Rights+Situation+in+the+Occupied+Regions+of+Georgia).

فى الإجمال، يزيد عدد السكان اللاجئين من أبخازيا بـ ٥،٣ عن الذين مكثوا هناك. ولذلك اعترفت منظمة الأمن والتعاون في أوروبا باشتراك روسيا فى حرب أبخازيا ولامت مرارا التصفية العرقية التى حصلت هناك وذلك فى ٦ ديسيمبر ١٩٩٤ فى بودابست ، و٣ ديسيمبر ١٩٩٦ فى لشبونة، و١٨ نوفمبر ١٩٩٩

فى استنبول.

المعطيات الاحصائية الجافة المذكورة وتقريرات منظمة الأمن والتعاون في أوروبا لا تصف حتى ولو تقريبا ثقل التراجيدية التى دارت فى أبخازيا، وحجم حالات القتل الجماعى للسكان الجورجيين، وطرق وقساوة تعذيب الناس التى لا يُتخيل. إن القرن العشرين الذى شهد الحربين العالميتين لم يشهد مثيلا لما حدث فى أبخازيا. ربما نبحث عن أمثلة ما جرى هناك فى القرون الوسطى أو العصور ما أغمض من تلك.

أطلقت النار ضد آلاف بعدما ذلت كرامتهم وعذبوهم. ما أكثر الأمثال عندما أرغم المنفصلون والمحتلون إنسانا أن يحفر حفرة ثم دفنوه فيها حيا. معروف أمثال عديدة لإقفال على الناس والعائلات والمجموعات من الناس فى بيوتهم أو بنايات أخرى وأحرقوهم فيها حيا. وما أكثر أمثلة عندما صبوا على الناس البنزين، ثم أشعلوا النار وأحرقوهم حيا. باين أن المحتلين تلذذوا كثيرا بتعذيب الناس قبل موتهم: قطع الرجلين واليدين أو الأنف أو الأذنين، أواللسان، أو الأعضاء التناسلية، أو إقلاع العينين، أو الأسنان أو الاظافر، وما أكثر النماذج! كثيرا ما أرغم الرجال المقبوضون عليهم أن يشهدوا عملية الاغتصاب على أمهاتهم، وزوجاتهم، وابناتهم وأخواتهم، ثم قتلوا كلهم مع بعضهم البعض. وكثيرا ما لم يمنح لأسرات المقتولين أن يدفنوا أقرباءهم لأن يلقوا الأجساد ليفترسها الكلاب أو الخنازير. فى قرية بزيفى فى سبتمبر عام ١٩٩٢ (منطقة جاجرا) قتلوا جورجى أبراميشفيلي، ثم ملّحوا أجزاء جسده، ثم حطوها فى حذائه، فبعثوها لزوجته. فى العاشر من أكتوبر ١٩٩٣ فى ريف زيمو قيلاسورى (منطقة سوخومى) اقتلعوا من إروديون بيبيا قلبه، وألقوه للكلاب. ما أكثر أمثلة تقطيع الأجساد، ولعب الكرة برؤوس المقتولين، أو تركيبها على عصا

من قبل أولائك آكلي لحوم البشر. كانت أشكال شائعة للتصفية العرقية والإبادة الجماعية تعليق الناس على الأشجار أو أعمدة الكهرباء أو غرقهم فى بئار ساحاتهم الخاصة.

نكّل المنفصلون والمحتلون بقساوة خاصة بالنساء وضمنهن الحاوامل. الغصب الجماعى، وبتر الثدين والأعضاء أخرى، واقتلاع العينين، مزق البطن، وأخيرا الإحراق حية أو إطلاق النار هذا ما كان مصير النساء اتضحن فى يدي المغتصبين. ولا إشفاق على الأطفال. قتلوهم مع والديهم. الصحفى الروسى ميخائيل أيدونوف الذى شاهد تراجيدية أبخازيا يخبر فى إحدى رسائله (راجع: Век, №40, 1993) عن الوقائع المخيفة مثل التالية: «فى أخالدابا (منطقة أوتشامتشيرى) كسروا يدي ورجلي الأطفال، وأجلسوهم على الخزاويق، ومروا على طفل بالدبابة، وأحرقوا فى ملعب نساء مغتصبات حيا، وسلخوا طفلا وكتبوا على لحمه: يباع الكلب الجورجى بكوبونات (كانت الكوبونات عملة مؤقتة جورجية آنذاك). بدون تعليق.

لم يرأف المنفصلون والمحتلون على المقعدين والمرضى الذين قتلوهم فى أسرّتهم. كان عدوانيتهم نحو المسنين غريبا. أحرقوا فى بيوتهم حيا دورو طاباغويا وكان فى ١٠٣ من عمره (قرية أوطوبايا، منطقة جالى)، ومارينى جوجيا وكانت فى السادس وتسعين من عمرها (قرية ديندافا، منطقة سوخومى)، ولوشا تسآفا وكان فى التسعين من عمره (قرية شروما، منطقة سوخومى) وغيرهم.

أصبح ضحية التصفية العرقية فى المعظم الجورجيون، ولكن المنفصلين والمحتلين أبادوا مئات من السكان من الأصول المختفلة: فى نوفمبر ١٩٩٣ فى قرية أوديشى (منطقة سوخومى) أطلقوا النار على ميرى أناسطاسيد التى ألجأ إلى دارها ١٣ جارا

جورجيا ثم أحرقوهم جميعا. ضمن المقتولين من أجل «الجرائم» مثل هذه أصيبوا بالنار وقتلوا ما عدا اليونانيين، الأبخاز بعينهم، والأرمان، والعبريون، والأكرانيون الخ. برانيسلافا يجومينوفا من أوتشامتشيرى قتلوها من أجل قولها إن «حتى الفاشيين لم يفعلوا أشياء مثل هذه».

أسّر المنفصلون والمحتلون رئيس حكومة أبخازيا چيولى شارطافا ثم أعدموه، وكذلك أعضاء حكومته راول إشبا، وسومباط سآقيان، وتاماز خاربيديا، ورئيس مدينة سوخومى غرام جابيسكيريا، والمسؤولين جمبير بيتاشفيلى، ماميا ألاسانيا وغيرهم. لم يشفقوا على رجال الدين. قبضوا على راهب شاب قاد دير قومان أندريا (عوراشفيلى) وأعدموه.

لا توجد المعلومات الكاملة عن التصفية العرقية والإبادة الجماعية التى جرت فى أبخازيا. ليس فى المتناول تكوين قائمة كاملة للمقتولين فى أيام احتلال أبخازيا من قبل المحتلين والمنفصلين. حسب بيانات الجريدة الموسكوية « Россия» فى أيام فتح سوخومى أعدم تقريا ٦٠٠٠ نمسة (Россия, №42, 1993,). أما تبع المعلومات المستجدة ففى مدينة سوخومى عدد المعدمين بين الأهل السلمى يبلغ ١٢٠٠ نسمة. يحكى الشهاد أن شوارع المدينة كانت ملأى بالقتيلين، فى حديقة ن. كورتشينكو فقط أعدم ٤٠٠ إنسان. رمى أجساد المقتولين فى البحر أيضا وصعب تثبيت هويتهم. مثل تثبيت هويات الناس المعدمين فى مدن وقرى أبخازيا من قبل المحتلين والمنفصلين. يخبر الصحفى المذكور أعلاه أيديونوف أن «فى قرية قيندغى (منقطة أوتشامتشيرى) شنقوا كل ساكن جورجي» (Век, №40, 1993). أضطر وزير الخارجية الروسى أ. كوزيريف أن يعترف فى المؤتمر الحصفى فى ١٥ أكتوبر ١٩٩٣ بأن «ما يحدث فى سوخومى اليوم ذلك التصفية

العرقية». يصرح إ. دياكوف الذى زار سوخومى حينذاك فى جريدة « Известия» الصادر فى ١٩ أكتوبر ١٩٩٣ أنه «تسود فى أبخازيا الإبادة الجماعية» ، وأنه شخصيا رأى «عشرات أجساد الموتى فى البحر»، و«النساء بالبطون الممزوقة»، و»الرؤوس المقطوعة المرمية على الساحل». طبعا، أغلبية هوية هؤلاء الناس مجهولة رغم أن العمل فى إكمال قاعدة الموتى مستمر.

تتركز وقائع توصف الجريمة التى تمت ضد السكان الجورجيين فى مطبوعات نشرت باللغة الروسية واللغة الانجليزية („International society to bring a verdict on the tragedy of Abkhazia/ Georgia. Tbilisi, 2015“ (http://dspace.nplg.gov.ge/handle/1234/117908) და «Трагедия Абхазии, Грузия на суд Российской общественности. Тбилиси, 2016» (http://dspace.nplg.gov.ge/handle/1234/180785)).

وفيها وارد تحليل قانونى عالي المستوى لهذه تراجيدية والذى ينتهى إلى تقرير معتمد أن المحتلين والمنفصلين قاموا فى أبخازيا بالتصفية العرقية والإبادة الجماعية المقصودتين ضد الأهل الجورجى.

ليس لنا ألا نذكر بأسف شديد أن بيد الجنود الجورجيين أيضا قتل تقريبا مائة ساكنا وبينهم تقريبا ستون أبخازيا. ونشدد على أن الجنود الذين قاموا بهذه الجريمة عاقبتهم الحكومة الجورجية بأقسى طرق ممكنة. إذا تناولنا الأمر تبعا لبيانات ما تسمى بالنيابة العمومية لأبخازيا (www.abkhaziya.org)، إن جرائم المنفصلين والمحتلين أثقل بكثير من تلك للجنود الجورجيين. دافع الأخيرون فى أغلبية الأحوال عن قراهم ومدنهم مقاومين القوات الهاجمة. وما هو الأهم، فإن الأبخاز لم يصبحوا ضاحية التصفية العرقية ولم يكن فى الإمكان أن يصبحوا ضاحية حتى ولو لأن القوات المسلحة الجورجية لم تدخل أماكن توطنهم المكثفة، فى حين دمرت حتى أسسها مئات قرى وبلدات جورجية، قتلوا عمدا أو نفوا من بيوتهم

السكان وأغلبيتهم الجورجيون، استولوا غير شرعيا على أموالهم ويملكونها حتى الآن فى القرى أو فى المدن، ومع كل ذلك، لم يجز هؤلاء المجرمون بل وبالعكس تمت مكافأتهم النفسية والمالية.

التراجيدية التى واجهها الجورجيون، هى النتيجة المباشرة لسياسة كريمل المقصودة من أجل فصل أبخازيا عن جورجيا. ورغم ذلك لم تطرح المسؤولية على روسيا التى كانت موحية ومجهزة لحرب أبخازيا، هى من زودت المنفصلين بالأسلحة، واشترك فى النزاع على الطرف الانفصالى الجنرالية والقوات العسكرية الروسية وحمت موسكو وتحمى المجرمين من قاموا شخصيا بهذه الجرائم ضد الإنسانية.

قبل تقنين نتائج الإبادة الجماعية والتصفية العرقية دعما واقعيا من ناحية بعثة «السلام» الروسية التى قامت بنشطاتها من العام ١٩٩٤. انطلاقا من مصالحها الامبريالية عاقت موسكو عن المبادرات الدولية الهادفة إلى تسوية النزاع. يمكننا أن نذكر مثلا مشروع تسوية النزاع الجورجى-الأبخازى للأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة ديطير بودين (العام ٢٠٠١)، ومشروع وزير الخارجية الألمانى فرانك-فالطين شطاينماير (العام ٢٠٠٨)، ومشروع فاشينجطون (العام ٢٠٠٨) الخ. واجهت روسيا كل هذه المشروعات بتنفيذ مصالحها الحقيقية عندما احتلت فى الثامن من أغوسطس ٢٠٠٨ عشرين بالمائة من الأراضى الجورجية واعترفت فى ٢٦ أغسطس ٢٠٠٨ بـ«استقلال» أبخازيا وأيضا منقطة تسخينفالى بما كسرت كل معايير ابتدائية للقانون الدولى. فى الحقيقة بهذا الاعتراف قوّنت احتلال الأراضى المذكورة أعلاه وفى نفس الوقت أحرمت نصف ميليون إنسان تقريبا حق الرجوع إلى بيوتهم.

كان منتهى أغراض روسيا فى أغسطس ٢٠٠٨ إسقاط

حكومة جورجيا وتعيين رجيم دمية فى تبيليسى وجعل العقبات فى طريق سعى جورجيا إلى الانضمام إلى الفضاء الأروبى-الأطلاسى. ضحكت روسيا بتصرفاتها العدوانية غير القانونية على النظام القانونى الدولى، وهددت أمن البلاد السوفيتية السابقة، وأمن كل الفضاء الأروبى الاطلاسى. لعب فى أمر الدفاع عن جورجيا الموقف الاساسى للأمين العام للأمم المتحدة آنذاك، ورئيس فرانسا نيكولا ساركوزى، دورا حاسما فأدت جهوده إلى أن فى ١٢ أغوسطس ٢٠٠٨ وقع رئيسا جورجيا وروسيا اتفاقية وقف إطلاق النار.

يؤيد سلامة جورجيا الإقليمية الوطنية ورجوع اللاجئين إلى أراضيهم العالم المتحضر كله وأهم المنظمات الدولية مثل ومنظمة الأمم المتحدة، والناتو، والاتحاد الأروبى، ومجلس أروبا، ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا. فى قراراتهم ووثائقهم العديدة تقيم العدوانية الروسية كاحتلال أراضى جورجيا. هم يدعون إلى إلغاء الاعتراف باستقلال أبخازيا وتسخينفالى، وإلى انحساب الجيوش الاحتلالية من جورجيا، ورجوع اللاجئين إلى أراضيهم بطريقة غير المشروطة.

مشكلة المقام الأول هى تبنى سياسة عدم الاعتراف بمنطقتي أبخازيا وتسخينفالى (ما يسمى بأوسيتيا الجنوبية) فى المضمار الدولى. بدعم المجتمع الدولى تنجز هذه السياسة بالتفوق نسبيا. تقف روسيا فى هذه المسألة وحدها. لم تدعمها فى هذه المسألة الدول المستقلة السوفيتية السابقة، وضمنها حتى أقرب الدول الحليفة لها. لا يمكننا أن نقيم كنجاح موسكو فى هذا الأمر تأييدها من قبل دانيل أورطيجا (رئيس نيكاراجوا)، وأوغو تشافيس (رئيس فينيسويلا السابق)، ودولتين القزمين – ناورو وطوفالو. وحتى طوفالو ألغت اعترافها باستقلال أبخازيا وتسخينفالى فى

السنة ٢٠١٤ واعترفت بسلامة جورجيا الاقليمية وأقامت معها العلاقات الدبلوماسية. لم توافق ولن توافق دولة متحضرة أو قائد يحترم نفسه أن يخط خطوة مجرمة مثل خطوة اعتراف باستقلال أراضى الجورجية المحتلة. إن ذلك الاعتراف جريمة لأن تلك الأراضى حاليا فاضية عن الجورجيين نتيجة الإبادة الجماعية والتصفية العرقية وريجيمات الحاكمة هناك هى ريجيمات دمية غير الشرعية التى تكسر بخشونة حقوق إنسانية ابتدائية.

تواصل روسيا فى العلاقات مع جورجيا سياستها الرجعية الموجهة إلى كسر المعايير الدولية إذ لا تفى حتى الآن اتفاقية ١٢ أغوسطس ٢٠٠٨ عن وقف إطلاق النار، ولم تنحسب قواتها العسكرية إلى موقفهم قبل الحربى، مثلما قصدت ذلك اتفاقية ١٢ أغوسطس، بل بالعكس ازدادت قواتها المسلحة فى أراضى جورجيا المحتلة واتجهت إلى ضمها وحددت روسيا على أساس ما سمتها باتفاقية ٣٠أبريل ٢٠٠٩ الموقعة مع المنفصلين، حدود أبخازيا بأنها أحاطتها ببنايات المرافق العامة العسكرية وأقامت جيوشها الفيديرالية هناك. أوقفت روسيا فى ١٥ يونيو ٢٠٠٩ مستخدمة حق الفيتو فى مجلس الأمن للأمم المتحدة نشطات بعثة مراقبة الأمم المتحدة إلى هناك. بكل ذلك تتكون خطورة للسلام والاستقرار ليس لجورجيا فقط بل وللمنطقة كلها.

إن العملية السملية فى أبخازيا للمرحلة الحاضرة محاصرة بالكامل. يعمل قانون ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٨ الجورجي عن «الأراضي المحتلة». فى نفس الوقت نشيطة «استراتيجية الحكومية نحو الأراضي المحتلة بطريقة التعاون والانضمام» المصدق عليها فى ٢٧ يناير ٢٠١٠ و«مشروع نشاط استراتيجية للانضمام» المقبول فى الثالث من يوليو من نفس السنة. إن هدف تبيليسى توسيع وتوفير العلاقات الاقتصادية والثقافية وما يشبه مع سكانها

الساكنين فى الأراضي المحتلة، وأن يتمتع هؤلاء السكان بكل ما فى متناول أهل جورجيا الذين يسكنون فى أراضى جورجيا أخرى (وخاصة فى مجال الصحة والتعليم). إن حكومة جورجيا تبذل جهودا بهذا الاتجاه ويبدوا النتائج الأولى لهذه المساعي.

خط الطرف الجورجي خطوة سلمية مهمة أيضا فى ٢٣ نوفمبر عام ٢٠١٠ فى البرلمان الأروبى عندما ألقى الرئيس ميخائيل ساكشفيلى الكلمة ناطقا باسم أهل جورجيا حينما أخذ على عاتقه واجب عدم استخدام القوة وإطلاق النار فى منطقتي تسخينفالى وأبخازيا، ما يعنى أن تسوية مشكلة السلامة الإقليمية إنما تكون بطرق سلمية. طبق إعلان البرلمان الجورجي للسابع من مارس ٢٠١٣، أكدت الحكومة الحالية على هذا الواجب.

ورغم ذلك، الوضع لا يزال فى أقصى الصعوبة، وتزيد الصعوبة مع مرور الزمن. تصارع الفيديرالية الروسية من أجل إعادة السيطرة الكاملة فى الفضاء السوفيتى السابق. هى لا ترضى أن تقبل استقلال جورجيا والبلاد السوفيتية السابقة الأخرى، وولعها إلى الانضمام إلى الفضاء الأروبي الأطلاسى. هى تعارض اتفاقية الارتباط بالاتحاد الاوروبى الذى وقعت عليه جورجيا فى ٢٧ ينيو ٢٠١٤. سارت وتسير حكومة جورجيا بالنسبة إلى روسيا على السياسة البناءة والترتيبية إذ تحاول تسوية العلاقات معها وفى هذا المضمار تحاول أن تتصرف بخطوات واقعية. ولكن كريمل تواصل فى سياستها العدوانية ومثل ذلك الاتفاقية المطروحة من قبل موسكو على ما تسمى بحكومة أبخازيا عن «الحلف والمشاركة الاستراتيجية»(3874/seton_fer/ur.nilmerk.sven.www). وبذلك أظهرت روسيا أغراضها الحقيقية فى ضم أبخازيا بل وأكثر، حصب هذه الاتفاقية خط سواحل البحر الأسود التابعة لجورجيا طولها ٢٠٠ كم، سيتحول إلى مكان الانطلاق العسكرى الأمر الذى يوفر مزايا

روسيا الجيوسياسية ليس فى القوقاس فقط بل فى حوض البحر الاسود والاقاليم المجاورة. وتخدم اتفاقية أخرى وقعت فى ٢١ نوفمبر ٢٠١٥ مع ما يسمى بحكومة أبخازيا عن تكوين القوات المسلحة التى أبرمها دوما (برلمان) الروسى فى الثانى من نوفمبر ٢٠١٦ والتى كانت خطوة أخرى فى طريق ضم أبخازيا وتحويلها إلى القاعدة العسكرية لروسيا.

تعارض نشاطات وأهداف روسيا مصالح أغلبية الناس الذين هجروا مضطرين من أراضيهم منذ ما يكثر من عشرين سنة ويعيشون فى انتظار الرجوع إلى بيوتهم دون جدوى، وفي نفس الوقت تهدد الاحتفاظ على الذاتية الهوية للإثنية الأبخازية قليل العدد، وإن عددا من القوم الأبخازى يستوعب ذلك الخطورة.

اجتاز مشاكل ضم أبخازيا بأهميتها حدود جورجيا وقوقاسيا وأصبحت تحديا دوليا. بالتالى انطلاقا من المصالح الاستراتيجية الطويل الأجل على بلاد الاتحاد الاوروبى والناتو أن تتخذوا إجراءات حاسمة. إن الواقع القاسى يتطلب انحساب الجيوش الروسية الاستعمارية من أرض جورجيا المحتلة مثلما هو مقصود من وثيقة سارقوزى التابع لـ ١٢ اغسطب ٢٠٠٨ المصدق عليها بتوقيعتي رئيسى روسيا وجورجيا. هذا الطلب سوف يصبح انطلاق محو العقوبات ضد روسيا.

الإجراءات الضرورية فى هذا الاتجاه هى: تنفيذ مبادرات جورجيا السملية، وانسحاب القوات الروسية المسلحة من الأراضى المحتلة غرض تجنب الكارثة الانسانية، وتجديد عملية تدخل الدول المحايدة من أجل السلام، وإتاحة للاجئين فرصة الرجوع إلى بيوتهم. فقط بعد ذلك يمكن تسوية النزاعات الكاملة والعادلة ما يضم مسألة حل موضع سياسى لأبخازيا أخذا بعين الاعتبار التاريخ ووقائع القانون الدولى، ودستور جورجيا.

٢.آثار ثقافة جورجيا المادية – أبخازيا (النظرة الموجزة)

كانت حدود أبخازيا تتغير على مدى التاريخ. ذكرت المصادر الأجنبية بمصطلح أبخازيا فى البداية جورجيا الغربية ثم جورجيا كلها أيضا. ضمت مساحة أبخازيا الحالية أراضى محافظة أبخازيا ومحافظة تسخومى وجزءا من محافظة أوديشي. بالتالى دخلت أغلبية الآثار الثقافية الجورجية المسيحية التابعة للقرون الوسطى التى توجد حاليا فى حدود أبخازيا فى بادئ الأمر محافظة أوديشي. أثرت هذه المراكز الثقافية التعليمية تأثيرا مهما على تاريخ التطور الروحى لسكان جورجيا.

يمكننا فى المرحلة الحديثة لبحث وراثة جورجيا الثقافية أن تقسم اثار الثقافة المادية المتعددة والمتباينة الموجودة فى منطقة أبخازيا إلى أربع مجموعات رئيسية آتية:

أولا: الآثار المعمارية

وثانيا: آثار الثقافة الكتابية

وثالثا: الأدوات الخاصة للمعابد (الكنائس)

ورابعا: المواد المكتشفة أثناء التنقيبات الآثارية.

إن التقسيم شرطي، ولكنه يصف واقعيا الصورة العامة للآثار المادية المستجدة فى أرض أبخازيا (راجع: ليا أخالادزه. الآثار الثقافية المادية لأبخازيا وتصنيفها. فى المجموعة: الوراثة الجورجية فى الأراضى المحتلة. تبيليسى، ٢٠١٢، ص١٣١. باللغة الجرجية).

الآثار المعمارية. إن هذه المجموعة أكثر عددا من المجموعات الأخرى من آثار الوراثة الثقافية فى أرض أبخازيا ويبلغ عدد نماذجها أكثر من مائة وحدة. ورغم أن كل هذه النماذج أصيبت بضرر، ولكن لكل منها تاريخ تطوره الخاص. يقسم

المبانى المعمارية بدورها إلى جزأين رئيسيين: ا) آثار عبادية (كنائسية)، وب) آثار معاشية. وتنتمى إلى الجزء الأول الديار والمعابد والكنائس الصغرى، وأماكن العبادة الأخرى. أما الجزء الثانى فيحتوى على المبانى التحصينية، والجسور، ومبانى المراقبة، وقصور كبار رجال الدين والقطيعيين الخ.

معروف أن المعمار القديم يصف جيدا احتياطات فنون الثقافة الوطنية. إن آثار القرون الوسطى المحفوظة فى منطقة أبخازيا تحل مكانة بارزة بحيث أشكالها المعمارية النقية وتزييناتها المتنوعة. ينتمى إلى أشهر آثار المنطقة القديمة المعمارية كنائس وديار بيتشفينتا، وبيديا، وموكفى، وإيلورى، وليخنى، وجاجرا، وبزيفي، وتسقيليقارى، وجودافى، ولاشكينداري الخ (راجع: ل. رتشيوليشفيليى. أبخازيا. الأبحاث فى التاريخ. تبيليسى، ١٩٩٤. أيضا: وراثة جورجيا الثقافية. المجلد الأول. أبخازيا. تبيليسى، ٢٠٠٧(باللغة الجورجية). يمكننا القول أن مثل جميع مناطق جورجيا الأخرى، فى أبخازيا أيضا تتوفر مبان دينية مسيحية.

بلغتنا من بين مبان معاشية أنقاض مبان تحصينية – القلاع والأبراج للمراقبة، والجسور وقصور القطيعيين الخ. وأغلبيتها لم تفقد قيمتها التأريخية ورغم أنها بلغتنا بشكل أنقاض إلا أنها تمنح للزوار انطباعات بارزة.

قامت قلعة أناقوفيا على مرور القرون الوظيفة المهمة ككونها حد جورجيا الشمالى الغربى، وتمثل أرقى نماذج المعمار أيضا حصان باجراطى عند سوخومى، وأكروبول سوخومى، وسور قيلاسوى، وقلاع بزيفى، وجاجرا، وكودورى، وليدزافى، وتشخالتا، وامطعيلى، وخاشوفسي، ومطشيشنى، وبيتشفينتا، وآزانتا، ودوريفشى، وليخنى، وساتامشيا الخ. يزيد عددها فى أرض جمهورية أبخازيا الذاتية الحكم الحالية عن ٧٠ وحدة.

تجذب الاهتمام من بين قصور القطيعيين الكبار أنقاض قصور ليخنى، وميرخيولى، وبيديا، وأنوخفى، وتسيبيلدا التابعة فى العصور الماضية لسلالات شارفاشيدزه، ومارشانيا، وچفانيسدزه، وباسيليسدزه الخ.

بين أقدم جسور جورجيا البارزة «جسر تامار» (ملكة جورجيا فى فترة ما بين ١١٨٤-١٢١٣) الواقع على نهر بيسليت قرب سوخومى. الجسور المماثلة بنيت فى جورجيا فى القرن العاشر، والحادى عشر، والثانى عشر، والثالث عشر وبقيت فى مناطق كارتلى، وأدجارا، وشامتسخى-جافاخيتى، وطاو-كلارجيتي التاريخية. ولكن الجسر فارد من نوعه لأن قبته احتفظت على مكتوبة جورجية باكرة منقوشة يذكر فيها ملك جورجيا المتحدة الأول باجراط الثالث باجراطيونى (٩٧٨-١٠١٤). ولكن الناس رغم ذلك يدعو الجسر باسم الملكة تامار وليس الملك باجراط.

آثـار الثـقافـة الكـتـابـية. وتتكون فى وراثة أبخازيا الثقافية مجموعة أكثر عددا والتى يمكننا أن نقسمها إلى ثلاث مجموعات: ا) المكتوبات على الأحجار وما يشبه، ب) المخطوطات، ج) المكتوبات على النقود (المسكوكات) (راجع: ف، سيلوجافا. مجريليا وأبخازيا. علم المسكوكات. تبيليسى، ٢٠٠٤. ل. أخالادزه، المنقوشات فى أبخازيا كمصادر تاريخية. المكتوبات على الأيقونات. تبيليسى،٢٠٠٥ (باللغة الجورجية).

Л. Ахаладзе. Эпиграфические памятники Абхазии, в книге: Разыскания по истории Абхазии/ Грузия. Тбилиси, 1999. с. 363-374).

ضمن النقوش والمكتوبات على الأحجار متوفرة: المكتوبات المنقوشة على الحجر بنقش معمق، ومنقوشات على الأيقونات والصلب والأدوات العبادية الأخرى، والمكتوبات الأيقونية المنجزة بصباغ. هذه المكتوبات متوفرة باللغات الجورجية، واليونانية،

واللاتينية، والمكتوبات العثمانية. مثلما كان مرجحا فلا توجد حتى ولو مكتوبة واحدة باللغة الأبخازية-الأبازية. أما المكتوبات الجورجية فيبلغ عددها مائة وحدة (ل. أخالادزه، المنقوشات فى أبخازيا كمصادر تاريخية. تبيليسى،٢٠٠٥(باللغة الجورجية) . وهناك مايكثر من ثلاثين مكتوبة يونانية (راجع: ت. عاوختشيشفيلى، مجموعة المكتوبات اليونانية فى جورجيا. الطبعة الثانية. تبيليسى، ٢٠٠٤. (باللغة الجورجية). وهناك ٦ مكتوبات عثمانية
(Х. Бгажба. Из истории письменности в Абхазии. Тбилиси, 1967)،
و٣ مكتوبات لاتينية والتى تؤرخ بالقرن الثانى أو الثالث الميلادى. ترجع المكتوبات الجورجية ذات المعانى التاريخية إلى القرون من الثامن وحتى التاسع عشر. المكتوبات اليونانية فى أغلبية أحوالها تؤرخ بأنها قبل القرن التاسع، رغم أن هناك مكتوبات من نوع graffito للقرن الحادى عشر. تتميز بغناء المكتوبات اليونانية قلعة أناقوفيا.

يبدو طبيعيا توفر كمية موحية من المكتوبات اليونانية وخاصة فى قلعة أناقوفيا، لأن جورجيا كانت بلد دائرة ثقافية بيزانطية، فالمكتوبات اليونانية واردة بوفرة فى كل المناطق الجورجية على جانب المكتوبات الجورجية.

المكتوبات العثمانية المنجزة باستخدام الخط العربى ترجع إلى القرون السادس عشر والثامن عشر والتاشع عشر، وحسب المعطيات الأخيرة عددها سبعة. وهناك عدة قبريات لكبار أهل الأبخاز للقرن التاسع عشر. برأى اللغوى الأبخازي خ. بغاچبا، الكتابة التركية لم تنتشر فى أبخازيا ولذلك هى واردة بوحدات بشكل مقطوعات فى قبريات فقط. نرى النصوص العثمانية فى سوخومى وضواحيها، وهناك قليل منها فى قرية طشالا وجيرخفا. أقدم هذه المكتوبات العربية الخط قبرية فلان اسمه محمد وهى

مؤرخة بالعام ١٥٩٨. وتتلوها مكتوبة محمد أمين المؤرخ بالعام ١٧٨٥، ومكتوبة عرفته الاواسط العلمية فى الأواخر واردة فى جدار قلعة سوخومى تحكينا عن عملية صيانة القلعة. هذه المكتوبة استخرجت بعد حرب الروسية التركية للعامين ١٨٧٧-٧٨ وحفظت فى قصر السلطان فى اسطنبول. بعد ذلك عثرت على مكتوبة آخر من مضمون مشابه عند قلعة سوخومى.

إلى جانب المكتوبات التابعة للقرن الثامن عشر هناك مكتوبتين لقبريتي نبيلين أبخازيين تابعتين للقرن التاسع عشر من النوع العثمانى وهما قبريتين لـبتل بي مارشانيا (الصورة رقم ٢٤) وحسن بي شارفاشيدزه (الصورة رقم ٢٥)

(Х. Бгажба. Из истории письменности в Абхазии. Тбили*си,* 1967*).*

حفظت بعض المعلومات عن آثار الثقافة المادية فى أرض أبخازيا الحالية، فى أعمال المبشرين الكاثوليكيين الذين عملوا فى محافظة مجريليا حتى القرن السابع عشر وبينهم الراهبين الثياتينيين كريستيفور كاستيلى وأركانجيلو لامبيرتى وغيرهما. فى ألبوم كاستيلى ومؤلفة لامبيرتى تحت عنوان «وصف مجريليا» كثير من المعلومات مهمة عن الكنائس والديور والكاثيدراليات التى حفظت بعضها حتى الآن، وبعضها تداعت، وأصبحت أنقاضا. ومعلموات ممتعة واردة فى تقريرات سفيري روسيا فى السنوات ١٦٣٩-٤٠ وهما فيدوط إلتشين وبولس زاخاريف.

يوفرنا بمعلومات مهمة عن معابد دراندا وموكفى وبيديا الموجودة فى أرض أبخازيا الحالية أيضا رجال الدين العرب – الباطريرك الأنطاكى مكاريوس الثالث وابنه كبير الكهنوتية بولس الحلبى اللذان زارا جورجيا فى ١٦٦٤-٦٦ و١٦٦٩. هما زارا المسامير التى سمر المسيح بها على الصليب. وشاهدا أيضا كف بربارة القديسة، وكثيرا من أيقونات وآثار لجثث القديسين وقرآ

المكتوبات عن هوية من تتبعه الآثار. وكتب الطبريرك مكاريوس: «رأينا عند الجورجيين آثار قديمة ومعالم بديعة إلى درجة أننا لم نر مثلها أينما كان» (مكاريوس الانطاكى. البيانات عن جورجيا. – مجلة أرماغانى. نماذج الكتابة الشرقية. كونها ماجالى تودوا. بتيليسى، ١٩٨٢. ص١١٨-١١٩(باللغة الجورجية).

المجموعة الثانية من آثار الثقافة الكتابية هى المخطوطات. وهى متوفرة باللغة الجورجية فقط ونسخت فى المراكز الثقافية التعليمية لأبخازيا فى بيتشفينتا، وموكفى، وبيديا. وبينها مهمة إنجيل مزخرف برسوم مصغرة لبيتشفينتا (القرن الثانى عشر)، ولموكفى (القرن الثالث عشر)، مجموعة الترانيم المسيحية من بيتشفينتا للقرن السادس عشر، ومجموعة الأعمال الدينية من بيديا للقرن السابع عشر، وأوموفوريات من موكفى للقرن السادس عشر، وديوان ملوك الأبخاز للقرن العاشر الخ.

نشأت فى أهم مواقد الثقافة الجورجية مثل موكفى وبيديا وبيتشفينتا وإلورى وليخنى وتسيبيلدا وتسارتشى الخ مع مرور القرون، القيم الروحانية يعتز بها ليس القوم الجورجي فقط بل والأبخاز كذلك. حفظت فى هذه مراكز الثقافة المسيحية مخازن الكتب القديمة، حيث ألفت مؤلفات جورجية فريدة أو ترجمت من اليونانية كتب تخصيص روحية، أو نسخت نصوص جديدة. إن المخطوطات الفريدة التى بلغتنا من هذه المخازن كنز قيم لتاريخ تطور الثقافة الجورجية الكتابية وتحفظ حاليا فى معهد المخطوطات فى تبيليسي.

لا يمكننا أن نجانب آثار كتابية زمان مملكة إجريس-أبخازيا (القرن الثامن-العاشر) التى تم تنفيذه بأمر «ملوك أبخاز» الذين كثيرا ما مذكورون فى هذه المخطوطات، كميتها بالإجمال تقريبا عشرون نقشا على الحجر وكتاب واحد للمدونات التاريخية تحت

العنوان «ديوان ملك الأبخاز». جميعه (ما عدا مكتوبة يونانية واحدة) باللغة الجورجية بخط جورجي مستدير قديم
(L. Akhaladze. Inscriptions of the Kings of Egris-Abkhazeti, Informational –analytical journal "Abkhazeti" I.Tbilisi, 2004).

أغلبية منقوشات تحتوى على مكتوبات عن «ملوك أبخاز» متوفرة خارج منطقة أبخازيا الحالية فى المناطق الجورجية التاريخية الأخرى فى مساحة مملكة إجريس-أبخازيا وهى مجريليا وكارتلى وإميريتى وچافاخيتى.

اكتشف فى مساحة أبخازيا عدد كبير من العملات فى الأغلب فى سوخومى، قلعة أناقوفيا (فى جبل إيفيريا)، وفى ليخنى الخ. أكثر العملات أسطورتها جورجية أو بيزانطية. إن العملات الجورجية حسب بيانات منقوشاتها تنتمى إلى ملوك جورجيا باجراط الرابع (١٠٢٧-١٠٧٢)، وجورجى الثانى (١٠٧٢-١٠٨٩)، ودافيد الرابع البانى (١٠٨٩-١١٢٥) الخ. ما عدا ذلك، اكتشفت العملات الفضية سماها السكان المحليون «الأبيض التسخومى»، أما الجنويين فسموها «أسبرا لسيباسطوبوليس» (دعيت فى جورجيا القديمة مدينة تسخومى، تبع المصادر اللاتينية اللغة، بـــسيباسطوبوليس). ضرب مسكوكات «الأبيض التسخومى» نبيل منطقة أوديشى ووزير الشرطة عند البلاط الملكى الجورجي فاميع الأول داديانى (١٣٨٤-١٣٩٦) فى تسخومى بترخيص الملك (الصورة رقم ١٨). عدد هذه المسكوكات المكتشفة أكثر من خمسين ولكن أخذا بالاعتبار الواقع أن جزءا كبيرا من الكنوز المكتشفة فى سوخومى فى العام ١٩٢٧ ضاع، لكان عددها أكثر بكثير من ذلك.

العملات البيزنطية مسكوكة فى زمن جستينيان الأول وقونسطانطين مونوماخوس وقونسطانطين دوكا، ورومانوز

الرابع ديوجينيس الخ وضربت باسمائهم، إن عددها يبلغ ثلاثين واكتشفت هذه العملات فى سوخومى وليخنى الخ مع عملات ملوك جورجيا باجراط الرابع وجورجي الثانى ودافيد الرابع الباني. كما يبدو كان فى أبخازيا وجورجيا كلها فى الدورة على جانب العملات الجورجية العملات البيزانطية (وطرابزونية) أيضا.

من أدوات الكنائس أشهر الأشياء الكأس الذهبى للعبادة من بيديا، والكأس الفضى من إيلورى، وأيقونات ليوحنا المعمدان، وإكاتيرينا القديسة، وأندراوس أول المدعوين، وأيقونة ليون الثالث ملك الأبخاز، وأيقونة ضحاها دافيد السادس نارين للمعبد، وأيقونة مريم العذراء لجاثليق إفديمون تشخيطيدزه من بيتشفينتا وصليبه القائد، وأيقونة ذات أبواب ضحيت بطلب رئيس الأساقفة أندريا ساعفاريليدزه لكنيسة مريم العذراء فى موكفى، والصليب القائد لأسقف أبخازيا إفوتيمى ساعفاريليدزه من موكفى، أيقونة ضحاها رئيس الأساقفة كيريلي چوانيسدزه للقديس جرجس لإلورى، أيقونات كبار أودوشى ضحوها للقديس جرجس، والأكثر كمية بينها الأيقونات ضحاها ليفان الثانى داديانى (١٥١١-١٥٥٧) للقديس جرجس ومريم العذراء. توجد على كل من الأدوات المذكورة منقوشات جورجية التذكارية

(Г. Чубинашвили. Грузинское чеканное искусство: исследование по истории грузинского средневекового искусства. Тбилиси, 1959; Г. Чубинашвили. Грузинское чеканное искусство с VIII по XVIII, век. Тбилиси, 1957).

المعلومات عن آثار ثقافة أبخازيا القديمة محفوظة باللغات الجورجية، واليونانية، واللاتينية واللغات الأروبية الأخرى، وأيضا الروسية والعربية. تتميز من بينها مؤلفات «حياة كارتلى» المجموعة التاريخية، ومؤلفات لفاخوشطى باجراطيونى، وبطريرك مكاريوس الثالث الأنطاكى، وبولس الحلبى، ومبشرين

الكاثوليكيين، وتقريرات السفراء الروس الخ.

ما يختص بالمواد الغنية والمتنوعة المكتشفة أثناء التنقيبات الأثرية التى تكون جزءا خاصا فى تقسيمنا، فنلقى هناك آثار العصور الحجرى والبرونزى والحديدي وآثار القرون الوسطى أيضا.

نتناول فيم يتلو التاريخ الموجز لآثار أبخازيا الثقافية والمنقوشات المحفوظة هناك، ويعتمد البحث على بحوث العلماء الجورجيين والأبخاز المعترف بهم.

بـازيلـيكا فى جاجرا، القرن السادس (الصورة رقم ١).

أحد أقدم نماذج المعمار الجورجي للقرون الوسطى الباكرة والتى تقع فى أنقاض قلعة قديمة فى جاجرا. وهى بازيليكا من نوع المسيحية الباكرة.

المعبد مبني من مربعات حجر خام ويمثل إحدى أقدم نماذج بازيليكات ذات ثلاثة صحون والتى كانت منتشرة فى جورجيا فى القرون من السادس وحتى الثامن. بحيث النمط التكنيكى، يشبه بازيليكا جاجرا معمار بازيليكات بنيت فى نفس العصر فى جورجيا الشرقية. نجد فى داخلية المبعد بدلا من الأعمدة الجدران الأمر الذى يدل على أن الكنيسة تعرضت للترميم فى القرون اللاحقة. فى الحاضر لا تعود توجد على جدران المعبد سواء فى الداخل أو فى الخارج مكتوبات. بحيث وجهة النظر الفنى، جاذب للاهتمام الصليب البارز يظهر عند المعتمد ذى القبة.

قـلعـة جـاجـرا فى ضواحي مدينة جاجرا، القرن الخامس أو السادس، وتوجد فى مساحة جاجرا القديمة. وبداخل القلعة كنيسة من نوع بازيليكا المحفوظ بشكل جيد. والقلعة تعرضت للترميم فى القرون الوسطى المطورة.

بازيليكا فى جانتيادى. محافظة جاجرا، القرنين السادس-

السابع. توجد فى ناحية الشمال الغرب من جاجرا، فى بلدة جانتيادى على ساحل البحر أنقاض الكنيسة ذات ثلاثة صحون. ومبنية من أحجار مستقيمة متوسطة الحجم وباستخدام أجور مقاسات مختلفة. فى الكنيسة وجدت مقتطعات مرمرية مؤرخة بالقرنين السادس-السابع. وحسب بعض المفترضات، هذه هى الكنيسة التى بناها امبراطور جستينيان الأول (٥٢٧-٥٦٥) لقبيلة أبازج – سلف الأبخاز عند تعميدهم مسيحيين. وفى بازيليكا اكتشف مختلص من حجر قبرى من مرمر أبيض ويمكننا أن نقرأ عليه "أبازجياس". يبدو أن المكتوب تابع لأحد كبار رجال الدين أو حكام. يؤرخ المكتوب أيضا بالقرن السادس.

كنيسة مريم العذراء فى قرية دراندا، محافظة جوليريبشى، القرن الثامن (الصورة رقم ٢). هى نموذج معماري رائع مبني من أجور وحجر حصوة والذى يتباين بسماته عن المباني المسيحية الجورجية الأخرى، رغم أننا نلتقى نماذج مشبهة لها فى بعض الأماكن الأخرى فى جورجيا. وكانت كنائس من هذا النوع منتشرة فى القرنين السادس-السابع فى بيزانطيا وهى مبان من نمط صليبى ذات قبة، ولكن بانى الكنيسة اتخذ كثيرا من التقليد المعمارى الجورجي أيضا فتشبه الكنيسة كنيسة جفارى (أى صليب) الواقع قرب تبيليسى وهناك أيضا توجد فوق المذبح قبب صغيرة متصلة بين بعضها البعض

(Л. Рчеулишвили. Купольная архитектура VIII - X веков в Абхазии. Тбилиси, 1988).

يكتب المؤرخ الجورجى للقرن الثامن عشر فاخوشطى باجراطيونى: "تقع فى دراندا كنيسة كبيرة رائعة حيث استقر أسقف يحكم فيما بين قودورى واناقوفيا".

حرق المعبد عند الهجوم العثمانى فى العام ١٧٣٧ فخربت القبة

حتى أساسها وهلكت رسمات الجدران. فى العام ١٨٧١ استأنفت البعادة فى الكنيسة. فى العام ألف وتسعمائة رممت الكنيسة برغبة السينودس الروسى، ولكن فى نفس الوقت ضاعت منها أدوات ثمينة وقبور مرمرية.

محفوظ بشكل جيد رسم الرب عند القبة، ووجه أيقونى لكبير الملائكة ميخائيل فوق مدخل الغربى ومقطع من شكل البشارة مع شكل مريم العذراء التى تقف على ركبتيها

(Л. Рчеулишвили. Купольная архитектура VIII - X веков в Абхазии. Тбилиси, 1988).

إن كنيسة دراندا عبارة عن مزج النمطين المعماريين وهما الجورجي والبيزانطى. لم ينجُ بالكنيسة مكتوبات.

معبد كبير الملائكة ميخائيل فى مسيجخفا. ويقع فى جبل مسيجخفا، مقاطعة جوداوتا. القرنين الثامن التاسع.

قرب قرية سانابيرو، فى مقاطعة جوداوتا على بعد ثلاثة كم من البحر قرب نهر تسكوارا، فى هضبة تسمى جبل مسيجخفا، يوجد مبعد رئيس الملائكة ميخائيل وهو نموذج الفن الجورجى المبنى فى القرن الثامن أو التاسع، وكانت واجهة الكنيسة مزينة بزخارف رائعة، واكتشفت على جدران المبعد نماذج أقدم المكتوبات بالخط الجورجي القديم – كله ٤٦ مكتوبة (صورة رقم ٢٠). نفهم من هذه المكتوبات أن الكنيسة بنيت على اسم رئيس الملائكة ميخائيل.

مبعد سمعان القانوى فى آثوس الجديد. مقاطة جوداوتا، أثوس الجديد، القرنين التاسع-العاشر (صورة رقم ٩).

قرب مدينة سوخومى، فى جبل إيفيريا، يقع اثر المعمار الجورجى – كنيسة سمعان القانوى والتى بنيت للمرة الأولى فى القرنين السابع-الثامن أما المبنى الحالي فبني فى القرنين التاسع-العاشر.

حسب بيانات المؤرخين الجورجيين والأجانب، إن سمعان القانوى مع أندراوس وعظ دين المسيح فى جورجيا الغربية والجنوبية وشملوا أرض أبخازيا أيضا.

حسب قصص الاباء القديسين، فى العام ٥٥ بعد الميلاد، صلب الوثنيون رسول المسيح سمعان مثل المسيح، ثم دفنوه فى أثوس الجديد قرب نهر فسيرتسخى. هناك من يظن أنه دفن فى نيقوفسيا فى الحد الشمالى لجورجيا التاريخية. «إن قبر سمعان القانوى فى مدينة نيقوفس التى تقع فى أبخازيا» – تبلغنا «حياة كارتلى».

بنيت فى القرن الرابع فى أثوس الجديد على قبره كنيسة صغيرة، وربما كانت خشبية، ولكن فى القرون التالية بنيت هنا كنيسة من الحجر الأبيض المملس، ورممت عدة مرات حتى القرن التاسع عشر. لم يحفظ رسم الأيقونات بالمعبد. تجذب الاهتمام من بين التزيين المعمارى رموز مسيحية التالية: السمك، والأسد، والصليب. ليس من الممكن حاليا قراءة المكتوبات الجورجية واليونانية.

كنيسة تشخورتولى من نوع ذى القاعة. قرية تشخورتولى، مقاطعة أوتشامتشيري. القرنين التاسع-العاشر.

على بعد ٢٦ كم من مركز جالى، على الطرف الشمالي الغربي لسهول سامورزاعانو، بين نهري أوخوجيه وإوكوميستسكالى، تقع قرية تشخورتولى وفيها كنيستان. كنيسة فى مركز القرية بنيت فى الحد بين القرن التاسع عشر والعشرين، من قبل المؤسسة المسيحية التابعة للنبلاء المحليين. أما الكنيسة الأخرى ذات القاعة فهى تقع على بعد ٥ كم إلى الشمال الغرب. هذه الكنيسة تشترك بحيث الطراز والتخطيط كنائس أخرى فى مختلف مناطق جورجيا. توجد نماذج عديدة من نفس التصميم بنيت فيما بين القرن الخامس

والعاشر فى جميع أنحاء جورجيا، مثلا فى إيريدى، وخايتى، وديسيفى، وكوسيريتى، ولاشكينداري، وإيلورى الخ.

إن معبد تشخورتولى نموذج انتقالى وحسب نمط هذه المرحلة فهي خالية عن زخرفات والتماثيل، استخدم لوجهى الداخل والخارج فى البناية حجر الترافيرتين، إن وضع الحجر المترتب وطريقة البناء عندما تنقل الأهمية إلى الفضاء والفناء، تدل على عصر البناية – ربما بنيت الكنيسة فى عصر قونسطانطين ملك الأبخاز (٨٩٣-٩٢٢).

كنيسة بزيفى. نهر بزيفي، مقاطعة جوداوتا. القرنين التاسع-العاشر.

فى قرية بزيفي، على الضفة اليمنى لنهر بزيفى، فى استعلاء توجد مجموعة معمارية للقرنين التاسع-العاشر تحتوى على قلعة يحيطها سور ومعبد. قلعة بزيفي بنفسها تتكون من جزأين. وجد المعبد فى الجزء العلوي، أما الجزء السفلي للقلعة فمر عليه الطريق القوافلي.

كنيسة قلعة بزيفى من نوع صليبى قببى مخطوط بين كل ذراعي الصليب قاعة، تؤرخ الكنيسة بالقرن التاسع أو العاشر. الجدران متقنة بحجر مملس ولكن القبة لم تحفظ، رغم ذلك ينطبع زوار المعبد بانطباعات عميقة. الأبواب والنوافذ مزخرفة بتزيين خاص بالمعابد الجورجية. يبدو شرقا من هذه الكنيسة أنقاض كنيسة قديمة أخرى.

قلعة بزيفى. قرب نهر بزيفى، مقاطعة جوداوتا، القرنين التاسع-العاشر. تقع على الضفة اليمنى لنهر بزيفى وكانت وظيفتها فى أمر دفاع جورجيا المتحدة هامة إذ أغلقت الطرق المؤدية إلى شمال القوقاس وحرستها. ومبنية من مربعات الجير المتقن ولها أبراج نصف دائرية ومربعة، ودعائم دفاعية وبوابة.

معبد مريم العذراء فى بيتشفينتا. وتقع فى بلدة بيتشفينتا، مقاطعة جاجرا، القرنين العاشر-الحادى عشر (الصورة رقم ٤).

وهى من أهم وأشهر نماذج المعمار الجورجي المسيحى والتى تقع فى الجزء الغربى لبلدة بيتشفينتا أى مدينة كلاسيكية بيتيونت وأسهمت المدينة فى أمر تعميد جورجيا وانتشار المسيحية فيها مساهمة كبيرة. تعود تسمية المدينة – بيتشفيتا – إلى النبات «بيتشفى» أى صنوبر وذلك من أجل كثرة نموها فى المنطقة .

ويرجع أمر بناء هذه الكنيسة باسم أندراوس أول المدعوين الذى وعظ هنا فى القرن الأول الميلادى وبنى المعبد. وعملت هنا على مرور القرون كرسي الاساقفة دعي كمعبد أندراوس القديس. المعبد الحالى ذو القبة بنيت فى القرنين العاشر-الحادى عشر. أصبحت المدينة فى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع مركزا كنائسيا مهما الأمر الذى يتأكد باشتراك أسقف بيتشفينا سطراطوفيليوس فى الاجتماع العالمى الأول للكنائس. طوال القرون وجد فى بيتشفينتا مركز جورجيا الغربية الذى انتقل فى القرن السادس عشر إلى جيجوتى إرغاميا دفاعا من هجومات الجبليين. توقفت الكنيسة عن العمل منذ القرن السابع عشر. فى ثلاثينات القرن التاسع عشر، بأمر امبراطور روسيا، رممت الكنيسة وحينذاك غير شكل القبة، فقبحت الكنيسة. فى ستينات القرن العشرين، حسب توصيات الأكاديمى ج. تشوبيناشفيلى رممت الكنيسة من جديد فأعيد للمعبد شكله الأصلى. ينتمى المبعد حاليا إلى أهم المراكز العبادية.

اكتشفت هناك عدة مكتوبات يونانية فى أقصى الأهمية، وأنجيل جورجي مؤرخ بالقرن الثانى عشر (الصورة رقم ٢٣) وهو مزين بزخرفات ورسمات مصغرة، ومجموعة ترانيم المؤرخة بالقرن السادس عشر، وأيقونة مريم العذراء للقرن السادس عشر الخ.

أيقونة مريم العذراء بمكتوب إفديمون تشخيطيدزه (١٥٦٨).
أمر فى العام ١٥٦٨ جاثليق «كل الشمال وأبخازيا» إفديمون تشيطيدزه بصناعة أيقونة مريم العذراء وكانت الأيقونة الرئيسية ذهبية، أما إطارها فكانت من فضة، وأعمدها الجاثليق فى معبد بيتشفينتا. بعد انتقال الكرسى الاسقفى إلى جيجوتى نقلت الأيقونة فى جيجوتى أيضا. فى ظهر الأيقونة مكتوبة تحكى عن نشأتها فذكر فيها الجاثليق إفديمون تشخيطيدزه ونبيلان لأوديشى ماميا وليفان داديانى. حفظت حتى الآن الأيقونة نفسها فقط أما إطارها فضاعت. تحفظ الأيقونة فى متحف جورجيا الوطني.

مجموعة الكنائس فى بيديا. قرية بيديا، مقاطعة أوتشامتشيرى، القرنين العاشر-الحادى عشر (الصورة رقم ٣).

يوجد على بعد ٢٥ كم من أوتشامتشيرى، فى قرية بيديا أحد أجمل نماذج المعمار الجورجى دير بيديا الذى يحتوى حاليا على معبد مريم العذراء، والقاعة الاسقفية، وبرج الناقوس. حسب البيانات التاريخية بنى الدير فى نهاية القرن العاشر ملك جورجيا المتحدة الأول باجراط الثالث باجراطيونى (٩٧٨-١٠١٤) وانتهى عمل بنائه فى العام ٩٩٩. طبق المؤرخ الجورجى إن الملك باجراط بنى الدير كمبعد الاساقفة.

أهم مبانى الدير معبد مريم العذراء المنتصب فى مركز ساحة، على بعد أربعين متر منه بوابة، وبها برج الناقوس، يجاوره بوابة المعبد. فى ناحية الغرب قصر الميطران ذى طابقين.

غير شكل المعبد فى الحد ما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وأيضا فى القرن الخامس عشر، برج الناقوس مبنى فى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر، أما قصر المطران فبني فى القرن السادس عشر من قبل مطران بيديا أنطون چوانيسدزه، الأمر الذى يؤكده مكتوب جورجي قديم منقوش فوق المدخل

(صورة رقم ١٧). فى داخلية المعبد حفظت ثلاث مستويات من الرسومات الايقونية تؤرخ بالقرون العاشر-الحادى عشر، والثالث عشر-الرابع عشر، والسادس عشر.

حفظت على خارجيات معبد بيديا وفى داخلياتا وعلى الأدوات، مكتوبات متنوعة بالخط الجورجي القديم، والتى تحكى عن صيانة المعبد وبينها إحدى عشر مكتوبة يمكن قراءتها بوضوح، أما باقي المكتوبات فهى حفظت جزئيا.

مذكور فى المكتوبات بانى المعبد سمعان (سفيمون)، والجاثليق نيكولوز جونجليبايسدزه، والمطرانون البيديون سوفرون جونجليبايسدزه، وأنطون بيدي (چوانيسدزه)، جيرمانى تشيخيدزه، وأسماء الحكام من رأسوا وراقبوا بناية وترميم المعبد وهم ملك جورجيا المتحدة الأول باجراط الثالث باجراطيونى (٩٧٨-١٠١٤)، وملك ليختإميريتى قونسطانطين ابن داوود نارين (١٢٩٣-١٣٢٧)، وملكة ملكات الأوديشية ماريخى وابنها نبيل النبلاء وكبير الشرطة جيورجى داديانى، وملكة رودابى وابنها قاخابيرى وغيرهم من الشخصيات التاريخيين.

مثل دير بيديا في القرون الوسطى أهم مراكز الكنائسية والتعليمية الثقافية.

كون أنطون چوانيسدزه كبير الاساقفة فى مجموعة بيديا مخزن الكتب الرائع حيث تمت عملية تجديد المخطوطات خلال ترميمها، كما تمت ترجمة الأعمال الدينية، وإغناء المخزن بمخطوطات جديدة. استدعى المطران جيرمانى تشخيطيدزه نساخين من جورجيا الجنوبية. وعمل هناك الخطاطون الجورجيون البارزون مثل جبرائيل لومسانيدزه، وأمبروسي قارجاريتيلى، وسفيمون الفراتى والذين انتهت إلينا بعض مخطوطاتهم.

إن مجموعة بيديا الكنائسية من رموز اتحاد جورجيا، هناك

دفنت الملك الأول لجورجيا المتحدة باجراط الثالث وأمه الملكة جوراندوخط.

وضع الدير الحالى: دمرت أثناء عمليات ترميمية أجريت من قبل حكم أبخازيا الانفصالى، أيقونة الملك باجراط الثالث بمكتوبتها (الصورة رقم ١٠) المؤرخ بـالعام ٩٩٩.

كأس بيديا الطقوسى (السنة ٩٩٩، الصورة رقم ٢١) وهو من أهم النماذج الجواهرية الجورجية القديمة وصنع من الذهب الصافى، وطوله ١٢،٥سنتى، والقطر ١٤سانتى. وجه الكأس الخارجى مقسم إلى ١٢ قطاعا، ولكل منها شكل قوس، وتحت الجميع من الأقواس أشكال القديسين، ووسطهم شكل المسيح الذى يستقر فى العرش، أما فى الناحية الأخرى فشكل مريم العذراء وبيدها المولود. تحكى المكتوبات عن نشأة وترميم الكأس وهى تنتمى إلى عصرين مختلفتين. وعند أشكال القديسين والمسيح منقوشة علي الكأس مكتوبات بالجورجية القديمة وأعلاها مكتوب فى سطر واحد ذكر فيه خبر إهداء الكأس للمعبد من قبل الملك باجراط الثالث وأمه الملكة جوراندوخط.

هناك مكتوبة أخرى ترجع إلى الكأس. كان حتى القرن التاسع عشر للكأس أداة ما يعتمد عليها والتى ضاعت، والمكتوب على هذه الأداة حكت أنها مصنوعة فى القرن السابع عشر بحجز المرطان جيرمانى تشخيطيدزه، يحفظ الكأس فى متحف جورجيا للفنون.

معبد انتقال العذراء مريم فى ليخنى. ويقع فى مقاطعة جوداوتا، القرن العاشر (الصور رقم ٦).

على بعد ٥ كم من جوداوتا على ساحل البحر الأسود تقع قرية ليخنى وفى مركزها اثر المعمار الجورجي معبد انتقال العذراء مريم للقرن العاشر وهو من نوع صليبى قببى، ولاحقا بنيت فى

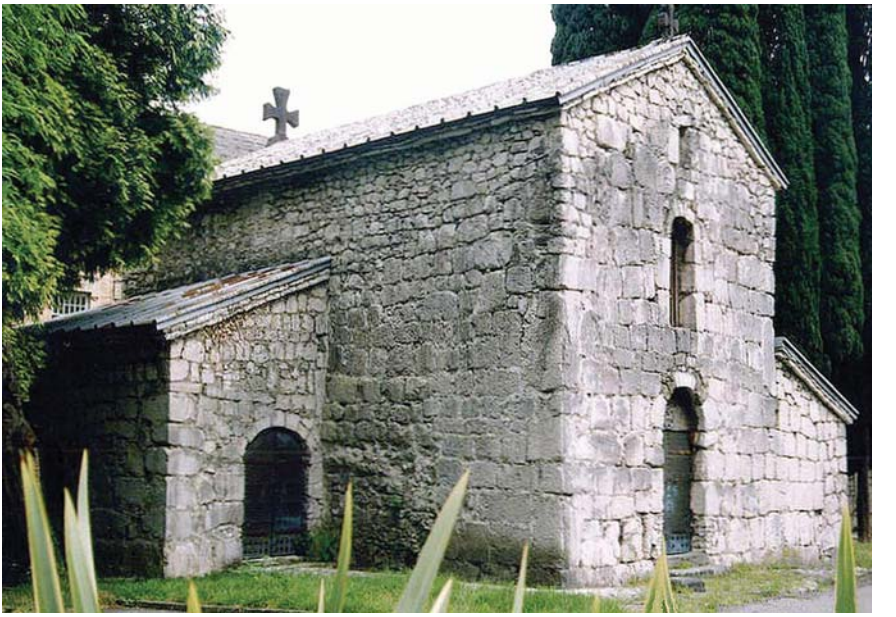

۱

۲

٣

٤

٥

٦

۷

۸

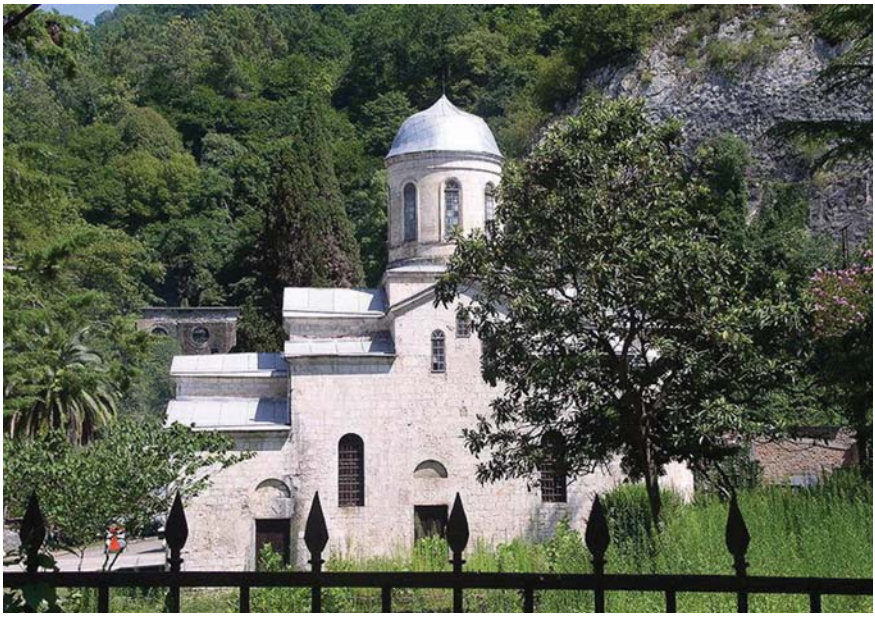

۹

۱۰

۱۱

۱۲

۱۳

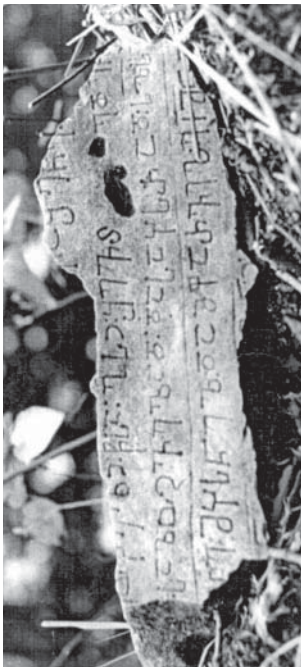

١٤

١٥

١٦

۱۷

۱۸

١٩

٢٠

٢١

٢٢

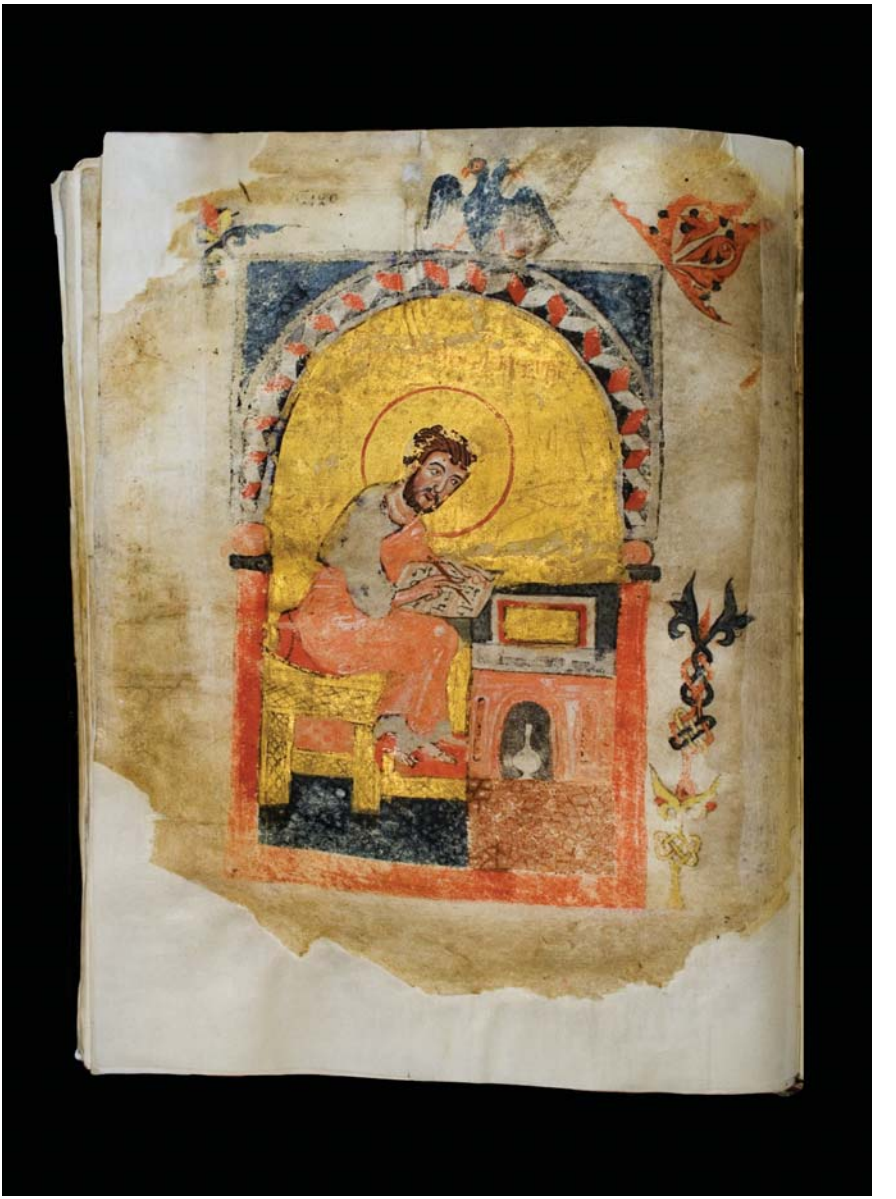

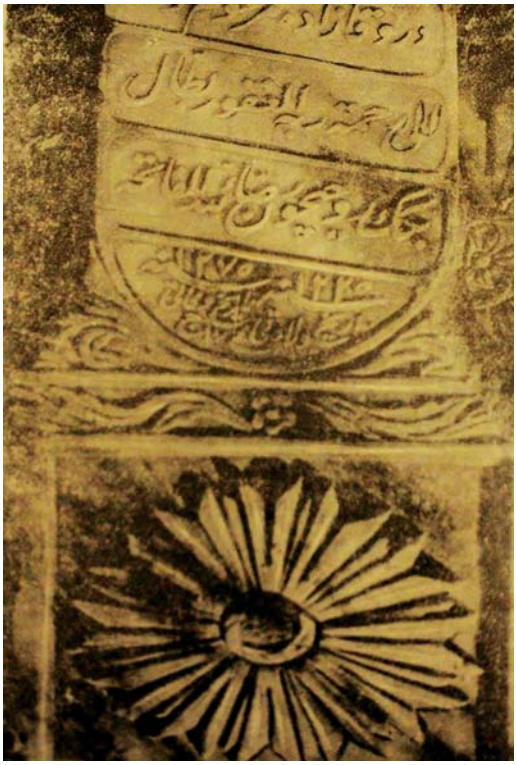

٢٤

٢٥

٢٦

الطرفين الشمالى والجنوبى معبدان لإجراء طقس القداس الإلاهى. حفظ فى معبد ليخنى مقطوعات من رسومات القرنين العاشر والحادى عشر، مثل رسومات لاحقة ومكتوبات جورجية. وصف للمرة الأولى هذا المعبد عالم الدراسات الكارتفيلية مار بروسيه والذى اكتتب من الجدران عدة مكتوبات وضمنها نص مشهور مؤرخ بالسنة ١٠٦٦ عن ظهور مذنب (الصورة رقم ١٩). وهذا هو مذنب هـالـيه يحكى عنه ما عدا هذه المكتوبة فقط ديوان من مدينة كييف وأحد الدواوين الصينية.

يمكننا القول أن معبد ليخنى هو مجمع المنقوشات والكمتوبات، فحفظ هناك ١٧ نصا مكتوبا بالخط الجورجى القديم والمعاصر (الصورة رقم ١٦) تذكر فيها مختلف ظواهر تاريخية، وشخصيات مدنيون ودينيون، تفسيرات الحوادث الدينية، وملوك جورجيا المتحدة باجراط الرابع (١٠٢٧-١٠٧٢)، وجورجى الثانى (١٠٧٢-١٠٨٩) الخ.

معبد مريم العذراء فى موكفى ويقع فى قرية موكفى مقاطعة أوتشامتشيرى، القرن العاشر(الصورة رقم ٥).

يقع على بعد ١٥ كم من أوتشامتشيري معبد كاثيدرالى ذو قبة وثلاث صحون، وللقبة عماد ذو ١٤ حافة، حسب بيانات مؤرخ جورجى من القرن الحادى عشر، بنى الملك ليفان الثالث (٩٥٧-٩٦٧) «فى موكفى الكنيسة لتكون معبدا للاسقف».

وجد طوال القرون فى موكفى واقور الثقافة الجورجية حيث أجريت عمليات تنسيخ مخطوطات، وتجديد مخطوطات قديمة. وصلتنا مخطوطات مخزن كتب موكفى، التى تخبرنا أسماء النساخين والخبراء من موكفى. ضمن آثار ذات أكثر القيمة إنجيل منسوخ فى السنة ١٣٠٠ المزين بزخرفات فاخرة راقية وناسخه ومزينه الراهن إفريم (الصورة رقم ٢٢).

كنيسة موكفى التى مثلت واحدة أهم موروثات الثقافة الجورجية كانت غنية بالمكتوبات المنقوشة أيضا، ولكن اليوم بقيت فقط مكتوب برج الناقوس لقرن الثانى عشر، يذكر فيه الأسقف جريجول من موكفى (الصورة رقم ١٣). من المكتوبات الأيقونية مشهور مكتوب مذكور فيه الملك دافيد الرابع البانى (١٠٨٩-١١٢٥) والإمبيراطور البيزانطي أليكسى كومنينوس (١٠٨١-١١١٨).

تم تجديد معبد موكفى الأساسى فى عصر الملك دافيد الرابع البانى حينما رسموا جدرانه ولكن بقايا الرسومات الأيقونية حاليا لا تكاد تلاحظ، تؤكد المصادر أن المكتوبات الجورجية كانت هناك بكثرة، ولكنها دمرت فى القرون التالية. لاحظ العالم ت. چوردانيا فى العام ١٩٠٢ بالأسف أن «المكتوبات الجورجية اختفت عن معبد موكفى الذى جدد، أو نقول بطريقة أصح، أفسد فى عصر الحاكم الأخير لأبخازيا». و«إذا عثروا على مكتوبة جورجية مسحوها وأفسدوها وكتبوا من فوقها باليونانية».

أنشئ كرسى الأسقفى فى موكفى فى القرن العاشر ولكن الكنيسة تقدمت وأصبحت من أهم أماكن المركزية للثقافة الجورجية من القرن الثانى عشر. حفظت المصادر الجورجية أسماء الاساقفة من موفكى الذين أسهموا مساهمة كبيرة فى الثقافة الجورجية وبينهم جريجول من موفكى، ودانيل من موكفى، وابراهيم من موفكى، إيفتيمي ساعفاريليدزه، وفيليبى تشيطيدزه الخ. تعرضت الكنيسة إلى هجومات مرارا، وفى سبعينات القرن السابع عشر نتيجة استوطان أفسوا-أباز هذه المنطقة غودرت الكنيسة، الأمر الذى لاحظه المؤرخ فاخشطى باجراطيونى. أما العالم الروسي م. سيليزنيوف فلاحظ ان معبد موفكى كانت من وجهة النظر المعامرى مطبعا إلى درجة أنه أوحى التعجب حتى فى عقول

الأبخاز البرابرة. وفى العصر القديم كان عند المعبد قصران – أحدهما قصر داديانى والثانى للاساقفة. ولكن الأبخاز دمروهما فى العام ١٦٧٨»

(М. Селезнев. Руководство к познанию Кавказа, книга II. С.-Петербург, 1847, с. 162-163).

أيقونة مريم العذراء بمكتوب ليون الثالث ملك الأبخاز (٩٥٧-٩٦٧). بحجز ليون الثالث ملك الأبخاز تم العمل على صناعة أيقونة مثلت فيها العذراء مريم فى وضع الدعاء. دعاؤها موجه إلى المسيح الذى ممثل فى الطرف اليمين من الأيقونة. فى الطرف اليسار ميخائيل وجبرائيل كبيرا الملائكة. رمم شكل وجه العذراء مريم فى القرن التاسع عشر. إطار الأيقونة مزين بالزخارف المطلية بالميناء ممثل فيها وجوه القديسين. فى أسفل الأيقونة مكتوب بالجورجية يذكر فيه ليون الثالث ملك الأبخاز.

أيقونة مريم العذراء من موكفى بمكتوب أندريا ساعفاريليدزه. مؤرخة بخمسينات أو سيتينات القرن السابع عشر، ولها بابان فضيان بهما أيقونة إطارها ذهبى، وهى من أرقى النماذج الفنية للقرون الوطسى المتأخرة. فى وسط الايقونة العذراء مريم تستقيم على رجليها، على يمينها يوحنا المعمدان أما بيسارها فاسطفانوس أول الشمامسة. الأيقونة وضعت فى إطار ذى بابين من الفضة عليه عديد من المكتوبات الجورجية المنقوشة وأهمها مكتوب أندريا ساعفاريليدزه وهو عن أمر بصناعة الأيقونة وهو رئيس الاساقفة الموكفيين، ويحكى فيه خبر إهداء الأيقونة للمعبد.

مبعد القديس جرجس فى إيلورى، قرية إيلورى، مقاطعة أوتشامتشيرى، القرن الحادى عشر، الربع الأول (الصورتين رقمين ٧-٨).

على بعد ثلاث كم من أوتشامتشيرى توجد قرية إيلورى فى

قلبها كنيسة ربع الأول للقرن الحادى عشر على اسم القديس جرجس التى هى من أهم معابد ومراكز الكنائسية لجورجيا الغربية. طبق المؤرخ فاخوشطى باجراطيونى «على ساحل البحر ... هناك كنيسة إيلورى على اسم القديس جرجس. عديمة القبة، وصغيرة، وغنية، ومزينة بإتقان».

بنيت الكنيسة تحت أمر النبيل الجورجي جيورجى (أى جرجس) جورجينيدزه عما يحكى أحد مكتوبات المحفوظة على المعبد. حسب كلمات عالم الفنون الأبخازى أ. كاتسيا، إن كنيسة إيلورى معبد من نوع ذى قاعة، وتخطيطه وترقية تناسباته ومستواه التكني للإنجاز يعطينا فكرة عن مساعى علم المعمار الجورجى للقرون الوطسى. وهذا بناء ذو صحن واحد ينتهى بنصف دائرة، وتتبعه مبانى تجاوره من الشمال والجنوب والغرب. المعبد مبنى بحجر مملس، وله بابان من الغرب ومن الجنوب، أما الفناء الداخلى فتنوره ست شبابيك

(А. Кация. Илори. Памятник XI века. Сухуми,1963).

على الجدران الخارجية حفظت خمسة مكتوبات جورجية مختصرة، أما السادسة فممسوحة وتقرأ منها أحرف فقط. الرسومات الأيقونية لا تعود موجودة، لأن الكنيسة التى رممها ورسمها فى القرن السابع عشر ليفان الثانى داديانى، أحرقها العثمانيون فى السنة ١٧٣٦. حسب بيانات فاخوشطى باجراطيونى حينئذ دمرت رسمات المعبد.

حسب المكتوبات، إن المعبد بنى على اسم القديس جرجس وتم بناؤه بأوامر النبيل المحلي جورجى جورجينيسدزه، ورئيس الاساقفة جورجى، والكاهن جورجى كوتشولافا، ونعرف من المكتوبات أيضا أسماء بعض البنائين مثل البناء اسمه جورجى وفلان اسمه ميخائيل الخ.

وضع المعبد الحالي: رمم فى ظروف الاحتلال الروسى الأمر الذى تسبب فى ضياع أصالته – فركبت عليه قبة من نوع روسى، وبيضت الجدران الخارجية والداخلية فمسحت المكتوبات الجورجية.

كأس إيلورى الطقوسى للقرن العاشر. عثر عليه فى أواخر القرن التاسع عشر فى كنيسة إيلورى. يشبه الكأس الكأس من بيديا (Г. Чубинашвили. Грузинское чеканное искусство: исследование по истории грузинского средневекового искусства. Тбилиси, 1959). يتبع طرف الكأس مكتوب جورجي بخط قديم. الكأس حاليا ضائع.

أيقونة القديس جرجس من إيلورى (١٥٧٢-١٥٨٢). وهى من أروع نماذج الفنون الجورجية، حسب المكتوب المحفوظ على الأيقونة صنعت تحت أوامر رئيس الاساقفة كيريلي چوانيسدزه وبنيل أوديشى جورجى الثالث داديانى (١٥٧٢-١٥٨٢). ممثل عليها مسرح عجيبة القديس جرجس الأولى.

أعمدت الأيقونة أولا فى معبد بيديا، ولكن نقلوها إلى إيلورى حيثما يبدأ تاريخ عجائب الأيقونة.

فى السنة ١٩٣٦ عندما ضعط النظام اليشوعى الكنائس خطفت الأيقونة وضاعت ولدينا صورة فوتوغرافية لها فقط.

أيقونة القديس جرجس من إيلورى (ستينات أو سبعينات القرن السابع عشر). وهى فضية ذات ثلاث أجنحة، وقابلة للطلي، ولها سلسلة، وممثل على وجهها القديس تيودور والقديس ديميطرى بالمكتوبات التفسيرية. تفتح الأيقونة وبداخلها القديس جرجس الواقف علي رجليه المزين بالمعدات العسكرية، وعلى الجهة اليمنى منه منحوت شكل المطران كيريلي چوانيسدزه فى وضع الدعاء. كل الأشكال مزودة بالمكتوبات التفسيرية الجورجية. علاوة على ذلك، فى إطار الأيقونة مكتوب جورجى بالخط القديم

ذو ١٥ سطرا والذى يحكى خبر إهداء الأيقونة للمعبد من قبل المطران كيريلي چوانيسدزه.

يذكر فى المكتوبات مع كيريلي چوانيسدزه بعض الشخصيات المدنيين مثل حاكم المنطقة نبيل أوديشى جورجى داديانى وقرينته الملكة تامار. الأيقونة محفوظة فى متحف مدينة زوجديدي.

كنيسة كبيري الملائكة ميخائيل وجبرائيل فى أنوخفا. قرية أنوخفا، مقاطعة جوداوتا، القرن الحادى عشر (الصورة رقم ١٢).

عثرت فى قرية أنوخفا على أنقاض كنيسة كبيرة الحجم واكتشفتها فى القرن التاسع عشر عالمة الآثار الروسية النبيلة براسكوفيا أوفاروفا. إن حجم الكنيسة وتناسب زخرفاتها الراقية يوحى إلى الزوار بالابتهاج. تمثل الكنيسة نموذج الفن المعمارى للقرن الحادى عشر التى تقرب بحيث النوع المعمارى وخاواصى الزخارف المعمار الجورجى الجنوبى القديم.

تحكى المكتوبات الجورجية القديمة للقرون الحادى عشر-الرابع عشر المكتشفة فى أنقاض الكنيسة عن بنائها وعمن أمر ببنائها، ومن قام بترميماتها. حسب إحدى المكتوبات بنيت الكنيسة على اسم كبيري الملائكة ميخائيل وجبرائيل. ذكر فى مكتوب منقوش بخط فنانى جميل على إحدى أعمدة الكنيسة المؤرخ بالقرن الحادى عشر، وأفراد أسرة النبلاء الأبخاز من هذا العصر ومن أمروا ببناء الكنيسة فهم جورجى ابن باصيل، وأبوه باصيل، أخواته تيودور وديميطرى وميرقيلى ومن أنصبوا الصليب وبنوا معبد أنوخفا لسلام أرواح أفراد عائلتهم (ليا أخالادزه. مكتوبات ومنقوشات أبخازيا كمصدر تاريخى. المكتوبات المنقوشة والأيقونية. تبيليسى، ٢٠٠٥ (باللغة الجورجية).

تكرر نمط معبد أنوخفى المعمارى الرائع وزخارفه والتزييناته وأشكال مكتوباته فى المعمار الجورجى فى الأماكن الأخرى.

ويجذب الاهتمام مكتوب عن جورجى أخي باصيل المنجز بأرقى الخطوط الفنية التى تشبه مكتوبات معبد سفيطيتسخوفيلى، وسامتافيسى، وألافيردى، ونيقورتسميندا، وشيومغفيمى وهى أرقى وأفخر كنائس جورجية.

كنيسة بيسليتى. وتقع فى قرية بيسليتى، مقاطعة سوخومى، القرنين العاش-الحادى عشر.

تقع الكنيسة على بعد مائتين متر من جسر بيسليتى القوسى الشكل المشهور. يبدو من الأنقاض أن هناك كان في قديم الزمن مجموعة ديرية، وكانت أهم مبانيها المعبد المتداعى لا تكاد بقاياه تبرز عن سطح الأرض. فى الشمال الشرق من الدير مبنى كبير. ظاهر أن دير كان مركزا دينيا مهما لجورجيا القرون الوسطى.

جسر بيسليتى. الحد ما بين القرنين العاشر والحادى عشر(الصورة رقم ١١). قرب مدينة سوخومى عبر مجرى نهر بيسليتى مركب جسر يسميه المحليون بجسر الملكة تامار. طول الجسر ٣٥ مترا، وعرضه ٨ أمتار. ومبنى من صفائح الحجر الجيرى. حسب العالم ن. تشوبينيشفيلى، إن الجسر مبنىً جورجي للقرون الوسطى ويبدو أن بنّاؤه عرفوا جيدا نمط النهر. تقنع تقنية بناء هذا الجسر القديم حتى معايير معمار بنيان الجسور المعاصرة. جسر متين ومتقن على أعلى المستويات التكنية ربما وقع على طريق تجارى وسياسى مهم. عندنا فى نواحى جورجيا الأخرى جسور ما تشبه هذا الجسر، مثلا جسر ركونى القوسى فى منطقة كارتلى، وجسر جونجالو فى منطقة أدجارا، ومجموعة من الجسور القوسية فى جورجيا الجنوبية التاريخي (طاو-قلارجيتى). على طرف الجسر القوسى مكتوبة ذات سطر واحد بالخط الجورجي القديم. والتى تنص: «يا مسيح رب الكل اجعل ملك الملوك باجراط من الجليلين فى الدنيا والآخرة». ورغم

أن المكتوب يذكر الملك باجراط ولكن الأهل سموا الجسر باسم الملكة تامار حبا ووداد لها. ينتمى الجسر والمكتوب إلى القرن العاشر أو الحادى عشر.

وضع الجسر الحالى: نظف من نباتات نمت عليه. جزء من المكتوبات الجورجية القديمة محفوظة.

كنيسة القديس جرجس فى تسكيليكارى. قرية ريتشخو-تسخيرى. مقاطعة جالى. القرن الحادى عشر. تقع الكنيسة على بعد عشرين كم من جالى، ورغم أنها مبنية على اسم القديس جرجس، ولكن الاهل يسمونها كنيسة تسكيليكارى أى «باب اللعنة». معروف فى الأدب العلمى ثلاث مكتوبات مختصرة وسبع مكتوبات الأيقونات ويبدو من مضمونها أن الكنيسة بنيت فى القرن الحادى عشر بمبادرة الرجل الديني اسمه ميرقيلى وبأوامر النبلاء المحليين. تعرضت الكنيسة فى القرون اللاحقة إلى ترميمات عديدة. فى القرن السابع عشر رممته أسرة تشاتشفا وصورة أحد أفرادها ممثلة على جدران الكنيسة ومزودة بمكتوب مناسب.

كنائس تسيبيلدا. مقاطعة جوليريبشى .

كنيسة القديس تيودور فى تسيبيلدا. القرن الحادى عشر. فى ضواحى تسيبيلدا فى العام ١٨٨٦ اكتشفت كنيسة عتيقة. فى نفس العام عالم التاريخ د. باكرادزه وثم عالمة الآثار الروسية النبيلة براسكوفيا إوفاروفا زارا المعبد ووصفا المكتوبة التى تدل على أن الكنيسة بنيت على اسم القديس تيودور. المعبد مبنى بحجر مملس مزخرف والتى تمثل نموذج الفن الراقى. جذبت هذه الحجرات الرائعة فى ستينات وسبعينات للقرن العشرين اهتمام الباحثين، درسها مخصوصا عالما الفنون ر. شميرلينج ول. خرسكوفا، وأكدا حسب تحاذيات الأشكال المعمارية أن الكنيسة تشبه نماذج

الفن المعمارى الجورجى الأخرى (الصورة رقم ١٥). وضع المعبد الحالى مجهول.

كنيسة القديس أندراوس أول المدعوين فى تسيبيلدا، القرن الثانى عشر. عثرت العالمة الروسية ب. أوفاروفا فى أنقاض إحدى كنائس تسيبيلدا على أيقونة القديس أندراوس أول المدعوين وعليها المكتوبات الجورجية التى تحكى عن بناية معبد على اسم القديس أندراوس فى القرن الثانى عشر من قبل وزير المالية عند البلاط الملكى الجورجي ونبيل النبلاء أبولاسان ايوب. يمكننا القول على أساس التحليل التاريخى للمكتوب عليها إن الكنيسة بنيت فى الربع الأخير للقرن الثانى عشر.

كنيسة القديس جرجس فى تسيبيلدا، القرنين الثانى عشر-الثالث عشر. اكتشف شرق تسيبيلدا على بعد ٤ كم عالم الآثار الروسى إ. فورونوف أنقاض معبد مسيحية وبه أداة اتسخدمت عند عملية البناء عليها مكتوبة جورجية (الصورة رقم ١٤) تحكى عن بناء المعبد ويمكننا الافتراض حسبها أن المعبد بنى فى القرنين الثانى عشر-الثالث عشر. وضع المعبد الحالى مجهول.

أيقونة القديسة كاترينا من تسيبيلدا القرن الحادى عشر. فى ثمانينات القرن التاسع عشر اكتشفت فى تسيبيلدا أيقونة مسها الضرر وممثلة فى وسطها القديسة كاترينا الاسكندرانية الواقفة على رجليها. لا تبدو على الصورة يدها وذلك من أجل الضرر الذى مس الأيقونة. على الناحيتين من هالتها منقوشة كلمات مفسرة «القديسة كاترينا». ومنقوشة على إطار سفلى للأيقونة مكتوبة جورجية ذات سطرين منجز بخط جميل تحكى عمن أمر بصناعة الأيقونة وهى سيدة من النبلاء اسمها مريم. حسب العلامات الفنية ونمط الكتابة القديمة إن الأيقونة نموذج من الفن الجورجي للقرن الحادى عشر.

أيقونة يوحنى المعمدان من تسيبيلدا، القرن الحادى عشر. فى ثمانينات القرن العشرين اكتشفت بين أنقاض كنيسة تسيبيلدا أيقونة يبدو أن إطارها كانت من فضة مذهبة، وممثل فى مركز الأيقونة يوحنا المعمدان فى الرسم الزيتى ولكن وجهه لا يعود يظهر حاليا على الصورة الفوتوغرافية. إن القديس ينظر إلى اليمين ويديه مرفوعتان دعوة إلى أعلى. فى الطرف العلوى اليمين من هالته مكتوبة تفسيرية جورجية «القديس يوحنا». فى الطرف السفلى من الإطار مكتوبة تحكى عن سابا ماليليسدزه الذى نشأت الأيقونة وزينت تحت أوامره. حسب العلامات الفنية ودراسة الكتابات القديمة إن الأيقونة تنتمى إلى القرن الحادى عشر.

أيقونة القديس أندراوس أول المدعوين، القرن الثانى عشر. إن الأيقونة نموذج رائعة للفن الجورجى. وهى معمولة من الفضة. وصلت إلينا بضعة تفاصيل منها وعليها مكتوبة جورجية تحكى عن نبيل النبلاء ووزير الأموال عند البلاط الملكى فى عصر الملكة تامار اسمه ابولاسان ايوب وكان سلفه أصلا من تسيبيلدا الأمر الذى أوحى إلى أبولاسان ايوب بأن يبنى هناك المعبد ويضحى لها أيقونة القديس أندراوس.

كنيسة غوموريشى، مقاطعة جالى. أول كنائس فى غوموريشى، سفح جبل غوموريشى. كشف عالم الفنون الأبخازى ل. شارفاشيدزه فى نطاق جبل غوموريشى فى ستينات القرن العشرين عن أنقاض كنيسة التى اكتشفت أثناء تنقيباتها مكتوبة جورجية بخط قديم تحكى تاريخ بنيان المعبد وإنصاب صليب من قبل ملكة الملكات ساجدوخط. حسب المصادر التاريخية إن ملكة الملكات ساجدوخط كانت من النبلاء وقرينة نبيل النبلاء أوديشي والذى كان يغدق أموالا من أجل بناء معبد غوموريشى. إن المعبد والمكتوبة مؤرخة بالقرن الحادى عشر.

وضع المعبد الحالى: وصلتنا أنقاض منها.

كنيسة أخرى فى غوموريشى. القرن التاسع عشر. فى مركز غوموريشى تقع كنيسة من نوع بازيليكا بنيت بمبادرة المحليين فى القرن التاسع عشر. فى عصر الاشتراكية توقفت الكنيسة عن عملها. فى بداية القرن الأول والعشرين نظف الأهل الكنيسة فاكتشفت كثير من حجرات الضرائح وعليها نقوش جورجية. هذه المكتوبات من خط جورجى حديث ما يسمى بـ العسكرى. يذكر فيها نبيلان جورجيان إمخفارى وأنتشابادزه.

كنيسة ديخازورجا، فى قرية ديخازورجا، مقاطعة جالى، القرن الحادى عشر. فى شرق نطاق ما أمام الجبال على الضفة اليمنى لنهر إنجورى تقع قرية ديخازورجا التى دعيت حتى العام ١٩٥٢ بـ»تسيفورى الكبرى». القرية بهذه التسمية مذكورة حتى فى خريطة المبشر الكاثوليكى الإطالي أركانچيلو لامبارتى للعام ١٦٥٤ والتى مشار فيها إلي الكنيسة ايضا. «معبد تسيفوريا، - كتب لامبيرتى، - مبني على مكان سهل قرب نهر إنجورى، هذا الدير الآن فى أيادينا. هناك كنيستان متصلتان إحداهما على اسم مريم العذراء والأخرى على اسم القديس جرجرس». يبدو أن فى تسيفوريا فى القرون الوسطى المتأخرة وجدت كنيستان التى ولاهما فى منتصف القرن السابع عشر المبشرون الكاثوليكيون.

حاليا فى ديخازورجا تسمى أنقاض المعبد بكنيسة القديسة بربارة. اكتشفت فى بداية القرن العشرين هناك صفيحتا حجر. منقوش فى إحداهما مكتوبة بخط جورجى معاصر، مذكور فيها كبير بنائي الكنيسة جريجول. تمثل المكتوبة أقدم نماذج الخط العسكرى (وهو تسمية الخط الجورجى المعاصر) المكتشفة فى جورجيا الغربية.

وضع المبعد الحالي: إن خارجية وداخلية المعبد فى حالة

مهددة.

كنيسة جودافى، مقاطعة جالى، القرون السادس-الثامن، القرون الخامس عشر-السابع عشر.

تبع المصادر اليونانية والبيزانطية كانت جودافا مركزا مهما كنائسيا من أقد الأزمنة. ربما بنيت كنيسة جودافا الأولى فى الفترة ما بين القرون السادس-الثامن ولكن فى القرون الوسطى المتطورة والمتأخرة تعرضت إلى عدة تغييرات وترميمات. يرجع ترميم الكنيسة فى القرن الخامس عشر إلى اسمى النبيل المحلى راباى وقرينته نيجامتسيرا، اللذان مذكوران فى صفيحة حجرية مزخرفة وجدت هناك. فى الناحية الأخرى من الحجر شكل الصليب وبه مكتوبة ذات ثلاثة أسطر بالخط الجورجى القديم ما يسمى بالمستدير يذكر فيها أن راباى وقرينته أمرا بترميم الكنيسة. هنالك كذلك مكتوبة أخرى مذكور فيها اسم قمص المعبد. المكتوبتان والكنيسة المرممة مؤرخة بالقرن الخامس عشر. وضع المعبد الحالى مجهول.

قلعة سوخومى. مقاطعة سوخومى. القرنين الأول-الثانى. القرن الثامن عشر.

إن قلعة سوخومى مذكورة فى المصادر الأروبية القديمة أو ما بعدها بأسماء مختلفة: كقلعة سيباسطوبوليس، وقلعة سافاطوبول، وسافاسطوبول، وساناطوبول، وبافاسطا، وبورتو ميجريلو، وكمدينة وقلعة وميناء فى جورجيا. وفى قصص جوغرافية للقرن الثامن عشر تسمى كعاصمة ميجريليا (من قبل چن بابتيس لوى قلوى، نيكول ديلاكروا الخ). كما سبق الذكر، إن المصادر الجورجية تذكرها كقلعة تسخومى، عندنا ذكر قلعة تسخومى للمرة الأولى فى تأليف المؤرخ الجورجى للقرن الثامن جوانشير.

إن تأسيس سوخومى يرجع إلى فتوحات الرومانيين. هم فى

القرن الأول ما قبل الميلاد جاءوا إلى هنا ونشأوا القلعة التى سموها بسيباسطوبوليس. فى بداية القرن السادس سوخومى تحت سيطرة الروما الشرقية أى بيزانطيا. فى السنوات ٥٤٢-٥٦٢ خلال الحرب الإيرانية البيزانطية، غادر جيوش الامبراطور جوستينيان الأول قلعة سوخومى ودمروا القلعة. فى العام ٥٦٥ أعيد بناء القلعة بأوامر نفس الامبراطور، وهو من جدد المدينة التى تقدم فى ازدهارها من جديد ابتداء من القرن السابع. وخلال فترة طويلة مثلت القلعة نقطة اعتماد البيزانطيين فى المنطقة. فى العام ٧٣٦ دمر قلعة ومدينة تسخومى الجيش العربى بقيادة مروان بن محمد (المسمى بموران الأطرش). ولكن بعد وقت قصير أصبحت سوخومى مركز المحافظة ومثلت إحدى أهم قلاع الجورجية الغربية – أى إجريس-أبخازيا. ونشأت هناك المعبد الكاثيدرالى، وازدهرت المدينة فى عصر تقدم جورجيا أى القرون الحادى عشر-الثالث عشر، رغم أن مقر نبلاء تسخومى زمانه قلعة باجراطى وليس قلعة سوخومى.

أسس فى القرن الرابع عشر فى سوخومى الجنويون (أى الإيطاليون) مصنعهم، وحسب بياناتهم كانت قلعة تسخومى زمانه مقر نبلاء أوديشى. سكت فى سوخومى عملة «البيضاء التسخومية» نفس «أسطرا سيباسطوبوليس».

سمى العثمانيون مدينة تسخومى من أجل روعة مكان وقوعها وساحلها بـ«اسطنبول الثانية». وأصبحت تسخومى نقطة اعتماد المعثمانيين فى أبخازيا. فى العام ١٧٢٤ رمم العثمانيون القلعة وحصنوها وسموها بـ سوخوم قاله (أى قلعة سوخومى: الصورة رقم ٢٦). رغم ذلك، يبدوا أن سوخومى فى القرن الثامن عشر مقر نبيل أبخازيا. فتحت المدينة الجيوش الروسية فى السنة ١٨١٠ وأيدهم نجل دار النبلاء الأبخاز جورجى شيرفاشيدزه.

فى ظروف الاحتلال الروسى صينت القلعة عدة مرات. الترميم الأخير تم فى عصر الحكومة الاشتراكية.

قلعة باجراطى، مقاطعة سوخومى. القرن العاشر.

فى الجزء الغربى لمدينة سوخومى، وعلى ضفة نهر بيسليتى اليسرى، على هضبة تقع قلعة تحمل اسم ملك جورجيا المتحدة الأول باجراط الثالث باجراطيونى (٩٧٨-١٠١٤. الصورة رقم ٢٧). يعتقد بعض الخبراء أن القلعة بنيت قبل عصر الملك باجراط الثالث، ولكن فى عصره تم تجديدها. إن معمار القلعة معمار خاص للبناءات التحصينية الجورجية الغربية. القلعة فى تخطيطها بيضوية الشكل، وجدرانها محفوظة بشكل جيد، فى طرف توجد بوابة محمية ببرج مربع. فى القرون العاشر-الرابع عشر كانت القلعة مقر نبلاء تسخومى. وابتداء من القرن السادس عشر عندما نقلت المدينة إلى غرب نهر بيسليتى، فقدت القلعة أهميتها وهوجرت.

قلعة أناقوفيا. جبل إيفيريا، قرب الآثوس الجديد.

على بعد ٢٠ كم من سوخومى على جبل إفيريا توجد مدينة أناقوفيا التاريخية التى سميت فى القرن التاسع عشر بأثوس الجديد. فى هذا الجبل على ارتفاع ٣٥٠ متر من مستوى سطح البحر توجد قلعة أناقوبيا. حسب المؤرخ الجورجى فاخوشطى باجراطيونى، «على طرف البحر توجد مدينة أناقوفيا... التى كانت مدينة جيدة رائعة تشرف على البحر والتى جللتها سلالة باجراطيونى».

مثلت قلعة أناقوفيا بناية تحصينية مقوية بسور حجرى. حفظت الجدران العظيمة بأبراج الحراسة وحوض الحصارات وجيارة لحرق الجير. من اهم بنايات القلعة هو المعبد المؤرخ بالقرنين السابع-الثامن.

حتى ثمانينات القرن الثامن مثلت قلعة أناقوفيا مركز محافظة أبخازيا.

كانت بعد توحيد جورجيا القلعة من أهم بنايات التحصينية وصينت مرارا تحت أوامر الحكومة. استقر هناك الجيش الجورجى والذى حمى حدود جورجيا الشمالية الغربية. اكتشفت هناك خلال التنقيبات عملة الملك جورجى الثانى بالنقش «يا مسيح اجعل ملك الأبخاز والجورجيين جورجى والقيصر من الجليلين». رمم الملك جورجى الثانى القلعة أساسيا. معروف من هذه القلعة مكتوبات يونانية.

بعدما تفككت جورجيا إلى ممالك-محافظات فى القرن الخامس عشر، كانت أناقوبيا مقر نبلاء الأبخاز، ثم فى القرن الثامن عشر فتحها الأتراك وأرغموا الأبخاز أن يتراجعوا إلى ليخنى. بعد ذلك هوجرت أناقوبيا وتحولت إلى أنقاض. سماه الأبخاز بـ «فسيرتسخا».

فى السنوات ١٨٧٦-١٩٠٠ فى عصر الحكم الروسى، انتصب فى مساحة أناقوفيا التاريخية دير القديس بانتيليمون كفرع الدير الروسى الذى أسس فى جبل أثوس.

***

مثلما تأكدنا، إن أغلبية الآثار المذكورة نشأت فى فترات مملكة لازيكا (القرون الرابع-السابع الميلادية)، ومملكة إجريس-أبخازيا (تسعينات القرن الثامن وحتى سبعينات القرن العاشر)، ومملكة جورجيا المتحدة (القرون العاشر-الخامس عشر). احتوت الحدود الأبخازية الحالية على الجزء منها ولكنها نشأت فى عصر تاريخى

حينما كانت تلك الأراضى جزءا من منطقة جورجيا التاريخية أوديشى (ميجريليا). منذ القرنين السادس عشر-السابع عشر عند هجرة الجبليين إلى مساحة أبخازيا الحالية بدأ نفي السكان الأصليين من هناك. أما الأوضاع الجديدة فلا ينشأ فيها آثار مثل تلك الآثار بل وأكثر، إن الآثار العتيقة الجورجية القيمة تعرضت إلى التدمير والفساد. ودليل ذلك مثلا أن كنائس بيتشفينتا، وبيديا، ودراندا، وغيرها هوجرت فى القرنين السادس عشر-السابع عشر. للأسف نفس الأوضاع تكررت ابتداء من تسعينات القرن العشرين عندما نفي السكان الأصليون من أرض جمهورية أبخازية الذاتية الحكم، ونتيجة عمليات ما يسمى بالترميم فقدت الآثار أصالتها وشكلها الاصلية ما حصل فى إيلورى، وبيديا، ودراندا، وفى حالة صعبة على وشك التدمير معابد ليخنى، وجاجرا، وتشوبورخينچى. زار المعابد المذكورة مسؤولو اللجنة الروسية لـ ICOM ووصفوا فى تقريرهم الوضع المهدد فى أقصى الصعوبة لتلك الآثار. نقرأ فى التقرير: «مثلما يبدو من الوصف الموجز للآثار التى تم مراقبتها، إن عمليات التخزين الشاملة هى مهمة المقام الأول، يجوز أن تشمل العمليات تنظيف الجدران، وتقويتها، وحمايتها بمواد خاصة، وتركيب السطوح عليها، وتركيب مجارى للمياه فى الجدران، ومقاومة الملوحة، وتقوية الأساس الخ.

مشكلة أخرى هى أعمال المستهلكين (وهم رجال الدين، والمرممون، والعلماء) التعسفية بما يفسد شكل الآثار التاريخية وتتعرض أصالة الآثار إلى التلف والضرر. إيلورى – بيضت الكنيسة، ودمرت القبة، دراندا – مس جرن المعمودية الضرر، بيديا – ضاعت الرسومات الأيقونية أثناء تطعيمها. وكل ذلك يحصل من أجل عدم توفير المراقبة من قبل أعضاء حماية الآثار للجمهورية.

أخذا بعين الاعتبار الأهمية الخاصة للآثار التاريخية علينا أن نشدد على أن عمليات الترميم تتطلب أعلى خبرة من قبل المرممين وعليهم أن يجروا عمليات الترميم طبق القوانين المعترفة بها والوثائق المتفقة عليها (المشروعات، الاقتراحات المشروعية، التوصيات الهندسية النمطية التكنولوجية الخ).»

واضح من التقرير المذكور أن فى أرض أبخازيا المحتلة تهمل كل معايير حماية الآثار التاريخية الثقافية. تبع ميثاق البندقية، إن كل آثار ثقافية تاريخية واقعة فى أراض محتلة محظورةٌ، إذ واجبنا أن نترك هذه الموروثات للأجيال التالية بكل أصالتها. ولكن أثناء ما سمى بترميم معبدي إيلورى وبيديا ضاعت قيمهما التاريخية والجمالية، ومسح التنسيق ما بين الماضى والحاضر. حسب ميثاق البندقية، إن كل آثار لا تنفصل عن التاريخ الذى شهدته. وبالتالى فعلينا أن نحفظها فى أشكال التى هى فيها. غرض حماية الآثار الثقافية الواقعة فى أراضى النزاعات فى العام ١٩٩٥ فى المؤتمر الدولى الذي أقيم فى اليابان مدينة نارا، تم اتخاذ «ميثاق نارا لأصالة الآثار» الذى نقرأ فيه: «إن تباين الوراثة الثقافية مستجد فى الزمن والفضاء، وبالتالى فهى تتطلب الاحترام نحو الثقافات الأخرى وأنظمة الاعتقادات. فى حالات عندما تكون القيم الثقافية فى النزاع بين بعضها البعض، يتطلب مبدأ رعاية القيم الثقافية اعتراف بشرعية القيم الثقافية لكل طرف». تعتمد هذه الوثيقة ميثاق البندقية والاتفاقية الدولية لـ١٦ نوفمبر عام ١٩٧٢ عن حماية الوراثة الثقافية والطبيعية. لكن رغم كل ذلك، إن الطرف الروسي يحاول فى أبخازيا المحتلة أن تمحو أثر الثقافة الجورجية ضد كل معايير القوانين الدولية. للأسف هذا ليس مجرد محو الأثر الجورجي، بل اقتطاع أبخازيا عن جذورها، وإضاعة أصالتها، وبالتالى طريقة تكيفها مع الواقع المستجد.

٣. الملحق. الخرائط التأريخية

١. مقتطع من الخريطة البحرية لـــبيليرمو سوليرى (١٣٨٥)

يظهر على الخريطة الساحل الشرقى للبحر الأسود أيضا. إلى الشمال الشرق من مساحة أبخازيا الحالية تظهر Abazachia أى وطن أفسوا-الأبخاز زمانه. عند مدينة سوخومى (Sauastopoli) علم عليه شكل كف. ومعروف أن هذا الرمز حاليا وارد على علم أبخازيا المحتلة. رغم أن العديد من المصادر الجورجية تؤكد أن شكل كف الإنسان كان فى جورجيا يرمز إلى الحكم الملكي. واضح أن فى نهاية القرن الرابع عشر عندما رسم بيليرمو سوليرى خريطته

كانت سوخومى ملك نبلاء مجريليا. الأمر الذى يتأكد أيضا من الخريطتين المعطيتين سفلاه لفريدوتشى د أنكونى (١٤٩٧) وديجو إوميمي (١٥٥٩) مثلها مثل خرائط تلك الأزمنة الأروبية المتعددة الأخرى. بالتالى رمز الكف على خريطة سوليرى رمز يمثل ملك سوخومى لسلالة داديانى ولا علاقة له بسلف الأبخاز
(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии, с. 828 – 830).

٢.جزء من الخريطة البحرية لـــفريدوتشى د أنكونى (١٤٩٧)

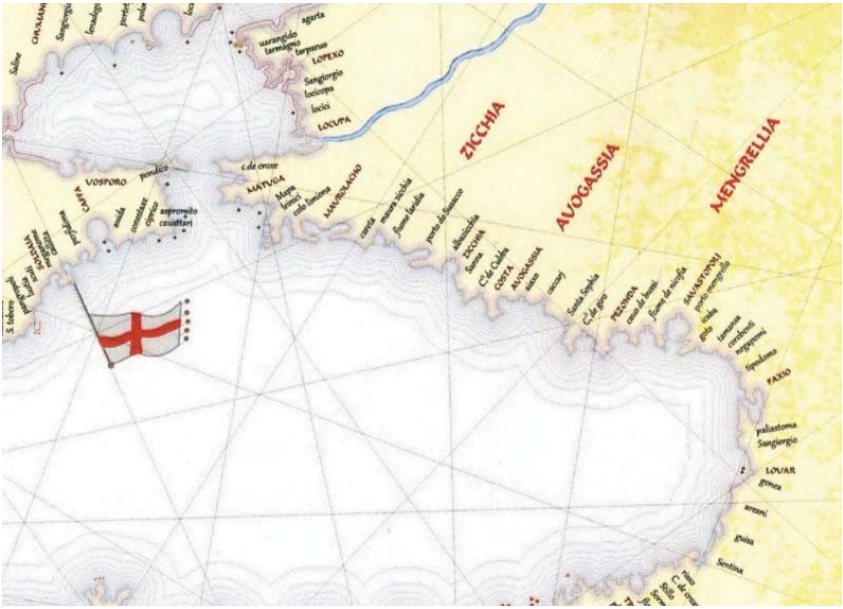

ضمت Avogassia أى محافظة أبخازيا المشار إليها فى الخريطة منطقة جوداوتا المعاصرة، وكانت أنذاك مأهولة بالجورجيين. وحسب «حياة كاترلى» جرى حدها مع محافظة مجريليا (Men-

grellia) عند مدينة آثوس المعاصرة أى أناقوبيا (راجع: حياة كارتلى، المجلد الرابع، ص ٧٨٤. باللغة الجورجية). وقع عند مدينة سوخومى (Porto Mengrello) ميناء محافظة مجريليا وكان ميناء مهما (راجع: تاماز بيريدزه، كوكا توفوريا، مانانا سانادزه، بيچان خورافا. خرائط جورجيا التاريخية. أبخازيا. تبيليسى، ٢٠١٣، ص٤٧، ٩٥-٩٦(باللغة الجورجية).

٣.جزء من خريطة البحر الأسود لـــديجو أوميمي (١٥٥٩)

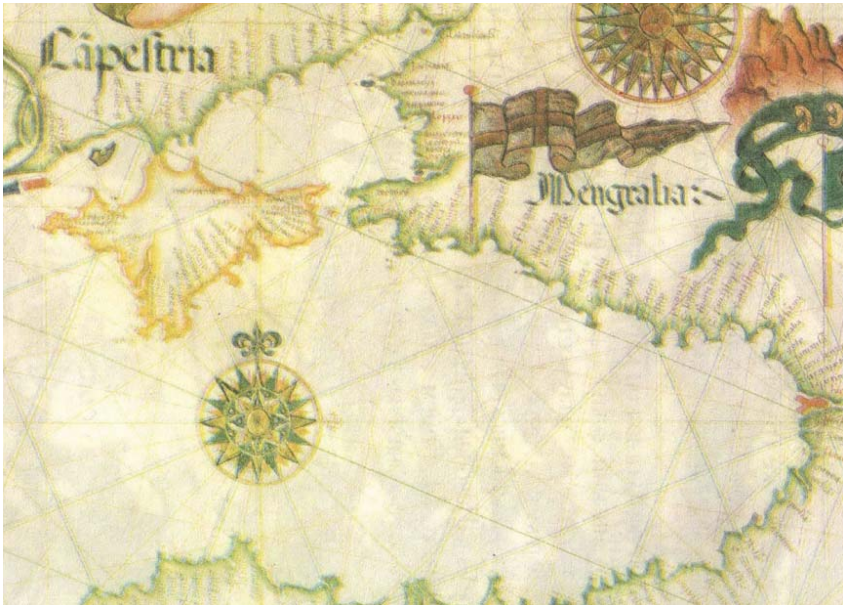

يظهر على الخريطة حد الشمالى الغربى لمحافظة مجريليا، ويعنى حد الشمالى الغربى لجورجيا الشاملة، عند بحر آزوف ويطابق ذلك التقليد التاريخى. منطقة أبخازيا التى كانت وحدة إدارية تابعة لمحافظة مجريليا لا تظهر على الخريطة بانفرادها

إطلاقا. حسب هذه الخريطة كذلك، وقع عند مدينة سوخومى ميناء مجريليا (Porto Mengrello) الأمر الذى يدل على أن الميناء والمدينة كانت تحت ملك الجورجيين

(Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия – историческая область Грузии, с. 831 – 832.

تاماز بيريدزه، كوكا توفوريا، مانانا سانادزه، بيچان خورافا. خرائط جورجيا التاريخية. أبخازيا. تبيليسى، ٢٠١٣، ص٤٨، ٩٦).

٤.جزء خريطة چاقوبو جاسطالدى (١٥٦١)

ملاحظ على الخريطة وسط نهر عوبان الذى ينصب فى بحر آزوف، ABCVAS REGI بمدينتها الرئيسية Acua. هذه الوحدة الإدارية ملحوظة فى نفس المكان عند مؤلفي القرن السادس عشر الآخرين مثل چيرارد ميركاتورى، وباتيستا آنييزى وغيرهما

الأمر الذى يؤكد أن ابتداء من القرن الثامن عشر بدأت هجرة أفسو-الأبخاز من القوقس الشمالى، وهم جأوا بتسمية مدينتهم الريئيسية وسمو بها مدينة سوخومى وهذا هو الاسم الذى يطلق على سوخومى من قبلهم حتى أيامنا - Acua
(Essays from the History of Georgia. Abkhazia. Tbilisi, 2011, p. 493 – 497. Historical Maps, № 14).

٥.جزء من خريطة أركانـچيلو لامبيرتى (١٦٥٤)

المبشر الإيطالي الكاثوليكى أركانـچيلو لامبيرتى وهو مؤلف

الخريطة، زار فى فترة ما بين السنوات ١٦٣٣- ١٦٤٩ جزء مجريليا الذى حاليا يدخل أبخازيا. حسب خريطته إن مجريليا أى كولخيتى تبدأ عند سوخومى عند سور قيلاسورى حيث يظهر نقش ينص: «السور طوله ستون ألف قدم، للدفاع عن هجومات أبازج». تسميات الأماكن المشار إليها فى الخريطة جورجية تماما، ولكنها تغيرت بعد هجرة أفسوا-أبازج إلى هناك.

Дж. Гамахария, Б. Гогия, Абхазия - историческая область Грузии..., с. 837-838,

تاماز بيرادزه، كوكا توفوريا، مانانا سانادازه، بيجان خورافا، خرائط جورجيا التاريخية، أبخازيا، ص ٥٧، ٩٧-٩٩ (باللغة الجورجية).

٦.جزء من الخريطة لـمخطط البلاط المكلى الفرنسى جييوم سانسون (١٦٧٤)

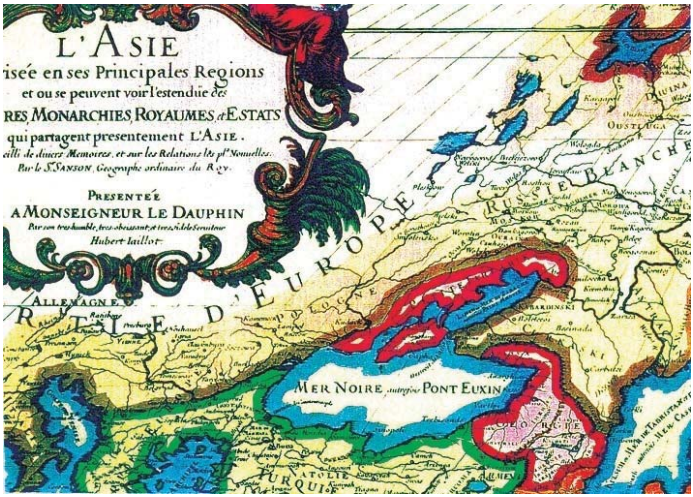

حسب خريطة جييوم سانسون يقع حد جورجيا الشمالى

الغربى تقريبا حتى بحر آزوف. أبخازيا (Abassa) التى تدخل حدود جورجيا تشمل أراضى حتى مدينة سوخومى. ثم تأتى مجريليا أى أوديشى (Odisci)، ثم جوريا (Guriel)، ثم إيميريتى (Imereti)، ثم سامتسخى-ساتاباجو أى ساباراتاشفيلو (Baratalu)، ثم كارتلى (Carduel)، ثم كاخيتى (Kacheti) وغيرها من مناطق جورجيا.

Дж. Гамахария, Б. Гогия, Абхазия - историческая область Грузии..., с. 843-845; Esseys from the History of Georgia. Abkhazia, Tbilisi 2011, Historical Maps, N9).

٧.جزء من خريطة «چيهان نوما» للقوقاس (القرن السابع عشر)

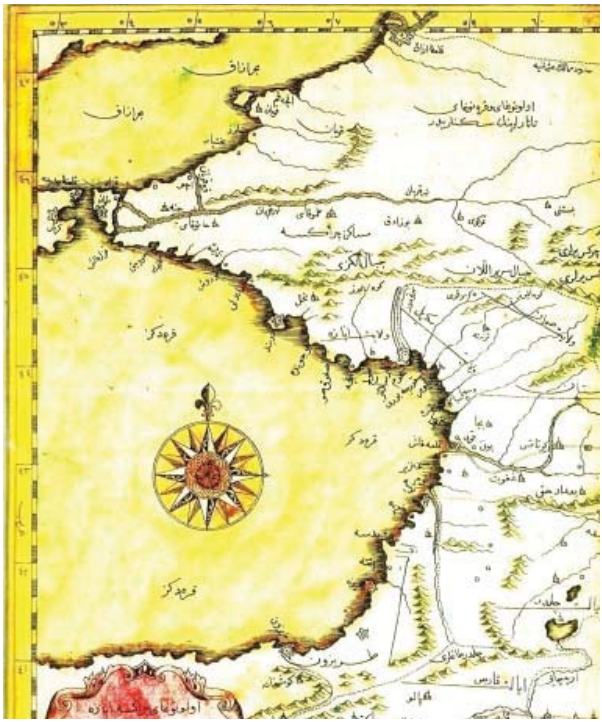

تدخل خريطة قاوقاسيا التركية عمل العالم والمؤرخ والكاتب

التركى كاتب جلبى وهو مؤلف «چيهان نوما» والذى صدر بعد وفاة مؤلفه فى استنبول فى العام ١٧٣٢. يعتقد الخبراء أن الخريطة مكونة فى ستينات أو سبعينات القرن السابع عشر، هوية مخططها مجهول. ولكن الخريطة تشير بالضبط إلى الحد الإدارى بين مجريليا وأبازا أى أبخازيا التى استوطنها أفسوا-أباز. حسب الخريطة يقع فى الشمال الغرب من أبازا «دربند» أى داربانـد – وتلك هى التسمية التركية لـــجاجرا (جاجارا) فى القرون الوسطى. فى الجنوب الشرق من داربانـد تقع بوچوندو (بيتشفينتا)، أما سغوقسو (سوقسو) فهى ربما يكون ميناء بومبورا. ملاحظ أيضا «نخل» ربما ليخنى، أغتشا (أغتسو فى حياة كارتلى، التى سموها الأباز آفستا)، أرسانلار (أناقوبيا)، وسخوم (تسخومى أى سوخومى). وملاحظ دون تفسير حصان مشهور سور قيلاسورى (راجع الخريطة الرقم ٥)، والذى بناه حاكم مجريليا ليفان الثانى داديانى للدفاع عن هجومات الأباز.

٨.أجزاء من خرائط الامبراطورية الروسية (١٧٢١-١٧٢٥)

تخبرنا المكتوبة اللاتينية فى الزاوية السفلى اليسرى للخريطة أن تلك هى «الخريطة الجديدة للامبراطورية الروسية، المخططة بدقة كبيرة من قبل يوحنا كوفينسى وكورنيليوس مورتييرى، وأيضا بدعم إفيراردوس إسبرانط إديسي. مكونة الخريطة فى الأغلب فى هولاندا وفريزيا الغربية». فى زاوية الخريطة العلوية اليسرى فى المكتوبة تذكر أراض لأروع وأقوى الملوك الامبراطور بطرس بن أليكسى». ينص المكتوب: «هنالك عديد من المقاطعات التى يحكمها الملك الجليل القاهر». حسب الخريطة روسيا تجاور جورجيا مباشرة. إن حد جورجيا الشمالى الغربية يبدأ عند بحر آزوف وتحتوى جورجيا على أبخازيا (Abassa)، ومجريليا (Mengrelia)، وجوريا (Guriel)، ثم إيميريتى (Imereti)، وسامتسخى-ساتاباجو (Samsea)، وكاخيتى (Caguetia). (نشرت الخريطة فى:

Дж. Гамахария, Б. Гогия. Абхазия-историческая область Грузии..., გ3. 847; Essays from the History of Georgia. Abkhazia. Historical Maps, №11).

المراجع (الأعمال الرئيسية عن الموضوع):

Lia Akhaladze. Classification of the Monuments of Material Culture of Abkhazia. Monuments of Written Culture. – Cultural Heritage of Georgia in the Occupied Territories – Abkhazia. Academic Conference. Sokhumi State University, The Young Psychologists Association of Abkhazia. Abstracts of Papers. Tbilisi, 2011, გვ. 52-55.

Lia Akhaladze. Inscriptions of the Kings of Egris-Abkhazeti, Informational –analytical journal "Abkhazeti" I.Tbilisi, 2004, c. 61-64.

Lia Akhaladze. Monument of Georgian architecture is asking for help. http://eng.expertclub.ge/portal/cnid__6919/alias__Expertclub/lang__en/tabid__2546/default.aspx

Essays from the History of Georgia. Abkazia from ancient times till the present days (Jemal Gamakharia, Tamaz Beradze, Teimuraz Gvantseladze...). Tbilisi, 2011. http://dspace.nplg.gov.ge/handle/1234/10253

Jemal Gamakharia. Politcal History of Abkhazia/Georgia. Tbilisi, 2012. http://dspace.nplg.gov.ge/handle/1234/4983

Tamaz Diasamidze. Georgia Regional Conflicts (South Ossetia, Abkhazia) in Documents. Prehistory and Present 1917 – 2011. http://www.rrc.ge/admn/books.php?lng_3=en

International society to bring a verdict on the tragedy of Abkhazia/Georgia (Jemal Gamakharia, Tamar Japaridze, Ketevan Chigogidze). Tbilisi, 2015. http://dspace.nplg.gov.ge/handle/1234/117908

Zurab Jguburia. Historical-cultural heritage in Abkhazia. Tbilisi, 2015. http://dspace.nplg.gov.ge/handle/1234/94526

Mariam Lordkipanidze. The Abkhazians and Abkhazia. Tbilisi, 2012. http://www.abkhazovedenie.com/files/eBooks/78/Marika-Lordkipanidze.pdf

Z. Papaskiri. On New Anti-Georgian Insinuations of Supporters of "Independent" Abkhazia Certain Aspects of Georgia-Russian Relations in Modern Historiography. Caucasus Region Political, Economical, and Security Issues. NOVA publishers. New York, 2014.

Z. Papaskiri. Zur Frage der nationalstaatlichen Mentalität des Herrscherhauses Scharvaschidse in Abchasien. – Georgica. Zeitschrift für Kultur, Sprache und Geshichte Georgiens und Kaukasiens. 31 Jahrgang 2008. SHAKER VERLAG. Aachen. http://iberiana.wordpress.com/afxazeti/scharwaschidse/

И. Е. Адзинба. Архитектурные памятники Абхазии. Сухуми,1959.

Лия Ахаладзе. Памятники материальной культуры Абхазии (Часть I - XVI). http://rus.expertclub.ge/portal/cnid__9120/alias__Expertclub/lang__ru/tabid__2546/default.aspx

Хухути Бгажба. Из истории письменности в Абхазии. Тбилиси, 1967. http://apsnyteka.org/file/Bgazhba_Iz_istorii_pismennosti_v_Abkhazii.pdf

Джемал Гамахария. Материалы посольств Гавриила Гегенава, Федота Елчина и Павла Захарьева 1636-1640 годы. Тбилиси, 2014. http://dspace.nplg.gov.ge/handle/1234/57288

Джемал Гамахария, Бадри Гогия. Абхазия-историческая область Грузии (историография, документы и материалы, комментарии) с древнейших времен до 30-х годов XX века. Тбилиси, 1997. http://dspace.nplg.gov.ge/handle/1234/38375

Очерки из истории Грузии. Абхазия с древнейших времен до наших дней (Джемал Гамахария, Тамаз Берадзе, Теймураз Гванцеладзе…). Тбилиси, 2009. http://dspace.nplg.gov.ge/handle/ 1234/6651

Зураб Папаскири. О национально-государственном облике Абхазии/Грузия. Всегрузинское общество имени Экватимэ Такаишвили. Абхазская Организация. Тбилиси, 2003. http://sites.google.com/site/zpapaskiri/publications-georgian

Зураб Папаскири. Абхазия : История без фальсификации.Тбилиси, 2010. http://dspace.nplg.gov.ge/handle/1234/29865

Разыскания по истории Абхазии/ Грузия. Тбилиси, 1999.

Леван Рчеулишвили. Купольная архитектура VIII - X веков в Абхазии. Тбилиси, 1988.

Трагедия Абхазии, Грузия на суд Российской общественности. Тбилиси, 2016. http://dspace.nplg.gov.ge/handle/1234/180785

Лео Шервашидзе. Средневековая монументальная живопись в Абхазии. Тбилиси, 1980.Бежан Хорава Мухаджирство абхазов 1867 года. Тбилиси, 2013. http://abkhazovedenie.com/ru/history?product=117

UDC (უაკ) 94+32+008)(479.224)
G-16

არაბული ტექსტის რედაქტორი – ნინო ეჯიბაძე

კორექტორი – ევა გურგენიშვილი

წიგნი განკუთვნილია არაბული სამყაროსთვის, რომელთანაც საქართველოს ღრმა ისტორიული ფესვები აკავშირებს. მასში გაშუქებულია აფხაზეთის ავტონომიური რესპუბლიკის ეთნოპოლიტიკური ისტორია უძველესი დროიდან დღემდე, მიმოხილულია იქ არსებული ადრე შუასაუკუნეების კულტურის ძეგლები. გაკეთებულია დასაბუთებული დასკვნა, რომ აფხაზეთის თანამედროვე ტერიტორია ეთნიკური, პოლიტიკური და კულტურული თვალსაზრისით უძველესი დროიდან წარმოადგენდა ქართულ რეგიონს. საქართველოს ნაწილად რჩებოდა იგი XVI-XVII საუკუნეების შემდგომ პერიოდშიც, როდესაც აფხაზეთის დღევანდელ ტერიტორიაზე ჩრდილოეთ კავკასიიდან თანამედროვე აფსუა-აფხაზთა წინაპრები – აბაზები ჩამოსახლდნენ. XX საუკუნის ბოლომდე – საბჭოთა კავშირის დაშლამდე ქართველები აფხაზეთის მოსახლეობის უმრავლესობას შეადგენდნენ. ავტორები მოგვითხრობენ 1992-1993 წლებში რუსეთის მიერ საქართველოს წინააღმდეგ წარმოებული ჰიბრიდული ომისა და 2008 წლის აგვისტოს ღია აგრესიის შესახებ. ნაჩვენებია, რომ ამ ომების შედეგად მოხდა რუსეთის მიერ აფხაზეთის ოკუპაცია, უსასტიკესი მეთოდებით განხორციელდა რეგიონის ქართული მოსახლების ეთნიკური წმენდა და გენოციდი. გამახვილებულია ყურადღება საერთაშორისო ორგანიზაციების აქტიური ჩართულობით აფხაზეთის ხელოვნურად შექმნილი კონფლიქტის მშვიდობიანი მეთოდებით მოგვარების აუცილებლობაზე.

გამომცემელი – ლევან თითმერია

ISBN 978-9941-461-79-8

ჯემალ გამახარია, ლია ახალაძე

აფხაზეთი, საქართველო: ისტორია, პოლიტიკა, კულტურა

თბილისი 2017

ჯემალ გამახარია, ლია ახალაძე

აფხაზეთი, საქართველო: ისტორია, პოლიტიკა, კულტურა

ISBN 978-9941-461-79-8